

اسکد لاشق

مرحوم شیخ لبیکان

۱۹۴۶

IMPRIMERIE

ATELIER DE RELIURE

FABRIQUE DE REGISTRES

**COSTA TSOUMAS & Co.**

DAHER - LE CAIRE - TEL. 44118

تقدمة من المؤلف الى

مكتبه الجامعة السورية

---

7  
E  
E  
A 36  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100



824A  
اسد لاشق

892.7408  
A827mA

# مرصم لیبناں

مفروق الطبع محفوظہ

79501

مطبعہ کوشتا سومان سن وشرکاء  
شارع امروہو لاہور۔ الفونہ نمبر 4114



## الاهداء

إلى الزوجة والام القومية الناهضة وأبنائها ،  
تلك التى أدركت ، بقوة شعورها وإخلاصها ، رسالتى ورسالتها ،  
فتنازلت عن كل حق لها على ،  
طالما هذا الحق يضحى فى سبيل النهضة القومية .  
وعلمت أبناءها أن لا يكونوا أنايين ،  
محتكرين عواطف أبيهم ونشاطه !  
بل أن يساوا أنفسهم بكل أبناء الشعب ،  
فيكونون جزءاً من العائلة القومية الكبرى ، التى يعمل لها أبوهم ؛  
وإلى أشقائى وشقيقاتى الذين ، وإن لم يكونوا من المناضلين معى ،  
فقد ساعدونى بسخاء فى هذه الحرب الأخيرة ،  
حتى تمكنت من متابعة عملى فى الميدان القومى ،  
إلى كل هؤلاء المتطوعين لخدمة الامة والوطن ،  
سواء مباشرة أو مداورة ،  
أقدم هذه المجموعة .

أسر الأسقر



## مقدمة

إن الاستقلال الذى لا يرتكز على كل فرد من الشعب ، ولا يتغذى من كل مورد من موارد الوطن الحيوية ، هو استقلال واه ، يسقط لأول صدمة !

فنهضة شعب عريق فى المدنية كشعبنا تقوم على قواه الروحية والنفسية العبقريّة المخزونة فى شخصيته ، وعلى كل الموارد الحيوية المخزونة فى أرضه ، فإن لم يتمكن هذا الشعب من فهم هذه القوى ووضعها فى حالة نشاط ونزوع إلى الابداع والتفوق ،

وإن لم يدرك مدى إمكانياته الاقتصادية ، ليوفقها عملياً مع مستوى طموحه التمدنى ، فإن استقلاله يكون مناورة سطحية ، موقفة ، تمر على هامش حقيقته !

فلندرس ذاتنا أرضاً وشعباً ،  
والمعرفة تولد القوة .



## أرض بلادی<sup>(١)</sup> !!

أرض بلادی ، أم لا ينضب ثديها ،  
وينبوع لا يغيض منفجره !  
كريمة ، ما استنديت كفها إلا فتحت يديها الاثنتين ،  
ومضياف سخية ، ما نزلت ربعا إلا وقتك شر الناس وأنياب العوز !

\* \* \*

أرض بلادی ! ما وجدت غيرك في بلادی نقياً ، طاهراً !  
تربة بلادی ! تراث الاجداد لم تدنسه يد الاثمة !  
وميراث الطبيعة ، لم يسلبناه طمع الطامعين !  
تربة بلادی ! أنت ثروة لا تسلب !  
وعرض لا يشلم !  
أهملوك ؛ فتحولت سهولك الخصبة إلى صحارى !  
وتغيرت سفوح جبالك المخضرة إلى يابس !  
وظهرت جبالك وسفوحك جرداء من الارز والصنوبر والسنديان  
والزيتون ،  
أشجار القوة والاثبات ،

---

(١) كتبت في بيت حبيب بربر البعني حيث كان المؤلف متخفياً سنة ١٩٤٢ ، عاصيا  
على الاوضاع الظالمة الى كانت تطارد القوميين في لبنان

تشق صدرك بقوى عنصرها ،  
وتمتص حيوية الحياة من بين الصخور المتكاثفة !  
إن خصب سهولك المندر ،  
واخضرار سفوحك الزاوى ،  
وجلباب غاباتك الممزق ،  
ليس إلا رداء من أردية ثروتك المخزونة ، الخالدة !

\* \* \*

العزم فى سواعدنا دق الانخال فى أصول الصخور فاقتلعها !  
والقوة فى أيدينا رفعت المهدات الضخمة خطمت الصخور واستعملتها ،  
والسبق فى ثقافتنا غرس الزيتون والكروية والتينة مكان العليقة والعجيرة !  
وعوم الارز والسنديان على اليم ،  
لتحمل الزيت والخمر والتين إلى الشعوب الاولى الجائعة !  
والفن فى نفوسنا نحت الحجارة نحتاً مبدعاً ورفع منها الهياكل الخالدة !  
نشاطنا السابق جعل من سهولنا الواسعة أهراء العالم القديم !  
وتوئبنا نقلنا إلى العوالم الجديدة ،  
لنعلمها ما اخترع فكرنا ،  
وما صنعت أيدينا ،  
وما أنتجت أرضنا .

\* \* \*

عزمننا أمسى وهناً !  
وقوتنا صارت ضعفاً وخمولا !  
وتفوقنا انحط إلى الاقتباس الاعمى والتقليد !  
نشاطنا تحول إلى كسل !

وتوثبنا انقلب استكانة خائفة ، مجرمة !  
وحبنا لأرضنا ، وقد دعاها العالم القديم ، إثمًا ،  
صيره الاجداب والمحل بغضاً ويأساً .

\* \* \*

لقد خسرنا كل شيء إلاك ، أيتها التربة الكريمة !  
ولقد تغير كل شيء إلا ما تخزنينه في صدرك وقلبك !  
فصدرك قوى ، غنى ، وقلبك حى ، خفاق !  
كنا نلبس من أهداب وشاحك الحريرى ،  
ومن نمو صوف أغنامك ،  
ونأكل من فيض خيراتك ،  
فأمسست أرديتنا دينا على كاهلنا ،  
لأن دود حريرك قد مات ،  
وصوف أغنامك قد جز ،  
ومحاصيل حبوبك قد نهبت  
وشمارك مكدسة فى أسواقنا ولا من يأخذ منا  
ليعطينا سترأ لعريتنا ،  
ونورأ لظلام ليلنا !

\* \* \*

أرض بلادى ! أنت البقية الاخيرة من تراثنا المادى الغالى  
وهذا الشعب المنجزأ إلى قطعان طائفية ،  
هو بقية تراثنا المعنوى !  
فسلام عليك فى انطلاق شعبك عبقرى ، جباراً ، مغامراً ،

يمون حوض البحر المتوسط ،  
ويحمل خيراتك وثقافتك للشعوب !  
وسلام عليك عارية من أجدادك ،  
وأكلي تبكين مهاجرين ،  
وفقيرة تحضنين من بقى من بنيك !

\* \* \*

أرض بلادى !  
إنى أسمعك فى أعاصير شتائك ، وفى همس نسيمات ربيعك ،  
وأتحسسك فى حرارة صيفك ،  
وفى حشرات خريفك ،  
تنادين شعبك ليعود إليك !  
ليتمرد على سنة التطور ،  
لينعزل عن المدنية الظالمة :  
أراد أن يسير فى مواكبها ،  
فأخذت حقها وبخسته حقه ،  
وكان سخيأ عليها ، فأخذت منه ولم تعطه !  
تنادين شعبك ليعود إلى الحياة الزراعية الأولى ،  
وهى تأمين ضروريات الحياة بالتبادل الداخلى البسيط ،  
ليرتدى الثوب الرخيص تحوكة الام والاخت فى ليالى الشتاء ،  
ليزرع كل ما تشتهيه نفسه ،  
وأنت تعطينه حبه مائة وألفاً !  
إن شعباً متمدناً كشعبنا لا تدخله المدنية فى نظامها العام ،

لينصب ميزان الاقتصاد على شواطئه وتخومه :  
يعطى بكفة ويأخذ بأخرى ،  
محافظاً على التوازن ؛  
إن شعباً تفرض على جسمه مصنوعات غيره ،  
وعلى معدته محصولات غير تربته ،  
وتقفل أسواق العالم في وجه مصنوعاته ومحصولاته ،  
هو شعب أخرى به ،  
إذا كان واعياً ذا أعصاب متينة :  
أن يقلع عن كاليات المدنية الحاضرة كلها ،  
راجعا إلى حياة أولية ساذجة ،  
في مظاهرها المادية ،  
ولمكنها أسمى ما وصل إليه الإنسان المتمدن ،  
في روحانياتها .

\* \* \*

أرض بلادي !  
لقد أساء إليك المجرمون من أبنائك ،  
فأوصلوك إلى حالتك الفقيرة المحزنة !  
وقد جزأوك قطعاً من رأسك إلى قدميك !  
ونهب الأغيار أطرافك وسلبوها ،  
فأنت دامية للعنق، مهشمة القدمين !  
ثم أهملك في محنتك أكثر أبنائك ،  
فالضعيف هرب من الصعوبات ،  
والخلص العاجز هرب من المشاهد المحزنة ،

والسياسي الجاهل يشهد كل يوم مأسيت .  
بقلب المجرم المدمن ،  
الفاقد الإحساس والوجدان .

\* \* \*

لم يبق لك أيتها الأرض المحبوبة ،  
سوى ابنك الأبر ،  
فلاحك الجبار ،  
يكافح منذ مئات السنين أنظمة مجحمة ، مرهمة ،  
كأنه في معركة اجتماعية ترافق الأزل !  
فكوني كريمة ، سخية عليه ،  
بخيراتك وفيض نعمك ،  
لأنه كريم ، سخى  
بقلبه وحياته !

## لماذا أنا بعيد عنكم (١) ؟

يا فراخي الثلاثة !

يا أملى وغسانى ونضالى !

ولدتكم فى أحلامى قبل أن ارتعشتم فى أحشاء أمكم !

وتغذيتكم من خيالى ومثلى العليا قبل أن امتصصتم عناصر الإخلاص  
والشجاعة من أمكم ،

وقبل أن رضعتم محبتها لكم ولوطنكم !

قبل أن تتفتح أكيام إحساسكم ،

وتنبثق العواطف من قلبكم وأنظاركم ،

وتبدأ أنفسكم بتخزين الجمال والقوة والمحبة ،

طرت بكم على أجنحة الحديد وأجنحة الأمل ،

لأطبع فى أنفسكم أحب الصور إلى قلبى ونفسى :

صور وطنكم !

والوطن يا فراخى ، أين يبدأ حبه ؟

أتعلمون ؟

---

(١) كتبت هذه الرسالة من معتقل د المية ومية ، إلى أولاد المؤلف : أمل ، غسان ،  
نضال وهم وفئتذ فى السابعة والسادسة والثانية من العمر .

إنه يبدأ في حب الشجيرات النامية بحيرية مدهشة في الحديقة المحيطة  
ببيت جدكم أبي يوسف .

إني قد ربيتها معكم ،  
وقربتها إلى قلوبكم الصغيرة ،  
كي تنموا كلكم في آن واحد ،  
فتفاعل عواطفكم النبيلة مع اخضرارها العطوف ،  
ونقدمون لها الحب والعناية ،

بينما هي تقدم الاظلال والأثمار !  
إني أستعرضها الآن في خيالي واحدة واحدة :  
فأرى غسان يرافقتي ،

ويدلني على أسرار نموها وخفايا بواكيرها :  
وبينما أنا أتفقد زيتونة تبتسم بغصيناتها الأولى ،  
وأساعد نموها بتشذيب الفروخ النامية حول أصلها ،  
إذا بغسان يحرنني يدي ،

ليريني ظهور التينة لأنوار الشمس من « موقدتها » العميقة ،  
سائلا إذا كان عليه أن يقدم لها بعض المساعدة .  
أما أمل ،

فها هي تسرع إلينا ،  
بعد أن اكتشفت سراً بين قضبان الدوالي المورقة لسذتها الأولى .  
وها هي تجرنا ، نحن الاثنين ،  
لتطلعنا على اكتشافها العجيب .

وهي لا تبوح بسرها إلا محل الاكتشاف :  
هناك توقفنا على قدمين أو ثلاثة ،

وتحذرننا من التقدم ،  
وعندما تأمن طاعتنا وتقيدنا بأمرها ،  
تقلب الغصن فجأة ،  
وترينا خصلة من الحصرم ،  
مقترحة أن نغرس ألوفا من الدوالي ،  
إذا كانت كلها تطعم في السنة الأولى !

\* \* \*

والآن ، يا غسان وأمل !  
أطلب منك أن تأخذنا نضال في كل صباح ،  
كل يد من يديها الصغيرتين ،  
وتقوما بنزهة في الحديقة ،  
حيث تدلانها على الأزهار الجميلة ،  
والأشجار المثمرة .  
ثم تقطفان لها الثمرة اليانعة ،  
وتقدمانها لها لتتلاذ بطعمها ،  
وتحس أن الشجرة هي مضيف سخية ،  
وأن الأرض هي أيضاً أم حنون ثانية !

حب الوطن يا فراخي ، لا يبدأ في الكتاب ،  
ولا في القصيدة الطنانة ،  
ولا في الأقوال على اختلافها ،  
بل في هذه الأشجار الكريمة ،  
وفي هذه الأرض المتفجرة بينا يبعها ،

وفي هذه السماء العجيبة بسنائها !  
نخزنوا ما استطعتم من عناصر الجمال والقوة ،  
الموزعة في أرجاء أرضكم وسمائكم !

\*\*\*

انتم تنساء لون يا فراخي ،  
لماذا أنا بعيد عنكم ؟  
والمستقبل سيقول لكم :  
إني بعيد عنكم كي لا تبتعدوا أنتم يوماً عن أبنائكم !  
وإذا كنت أنا مبعداً عنكم ؛  
فلكم من شطركم الثاني ،  
الخطر الذي غذاكم ويغذيكم بالاخلاص والشجاعة ،  
ما يغنيكم عني الآن !  
إن أمكم تعلم ما يجب أن تحبب إلى قلوبكم ،  
لأن كل حبيب إلى قلبي ؛  
هو حبيب أيضاً إلى قلبها !  
فقد اتحد قلبانا لينشأ منكم :

قوة الغد المنقاة والمطهرة من شوائب الخوف ، والضعف ، وكل  
أمراض المجتمع الحاضر !  
فالعوا بهرب أمكم ،  
واطبعوا في نفوسكم لوحات الجمال المنحدرة من قم صنين إلى  
شواطئ بحركم ،

وانتظروا مجيئي !

أبوكم  
أسد

إليه وميه في ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٣

# المهاجرة اللبنانية

## أسبابها الأساسية وعلاجها

محاضرة أقيمت في نادي لبنان في القاهرة

في ١٠ يناير سنة ١٩٤٦

### المقدمة

منذ أن وقع لبنان تحت نفوذ العثمانيين عام ١٥١٥ دخل مرحلة هي من أقسى مراحل تاريخه ، استمرت إلى عام ١٩٤٣ ، ولم تنته بعد من عواقبها الوخيمة . وقد سميت هذه المرحلة العثمانية ، التي بدأ الاغتراب في أواخرها ، مرحلة « الانعزال والمحافظة » . فان لبنان وقع تحت نفوذ دولة هي أحط منه مرتبة في سلم المدنية الانسانية ، فلم يسمح لنفسه بالنزول إلى مستواها ولا تمكن من الخلاص منها ، لذلك اتبع سياسة هي أحكم ما يمكن أن يتسكّر شعب صغير متمدن واقع تحت نفوذ دولة قوية عاتية . وتلك السياسة الحكيمة كانت المحافظة على كيان لبنان الاجتماعي والاقتصادي محافظة تامة ، وعلى كيانه السياسي والقومي بقدر ما تسمح الظروف والامكانيات .

يقول أحد علماء الاجتماع : —

« إذا فرض نظام منحط على شعب ضعيف متمدن ، فاما أن ينحط ذلك الشعب إذا كانت نضبت حيويته ، وإما أن تفعل مدنيته في المسيطر فترفعه إلى مستوى متمدن ، وإما أن ينصرف ذلك الشعب الضعيف إلى النزوح فينقرض » .

ألم يكن لبنان في العهد العثماني ذلك الشعب الصغير الضعيف الذي تعنيه هذه النظرية الاجتماعية الفلسفية ؟

أجل ، لقد قاسى لبنان هذه الحالة الشاذة طوال أربعة قرون كاملة . فقد سيطرت عليه دولة عسكرية مغولية لا يهتمها أن تفهم عن الشعوب التي تحكمها إلا خضوعها وطاعتها ودفعها الضرائب على اختلاف أنواعها .

وقد سيطرت هذه الدولة على المناطق السورية المحيطة بلبنان ، وأقفلت عليه البحر فأمسى في قفص ممت ، لا يتفاعل اقتصادياً إلا ضمن حدوده الضيقة وقليلًا مع الولايات المجاورة .

انقطع لبنان عن مجارى المدنية العالمية حتى منتصف القرن التاسع عشر فتجمدت قواه الفكرية في قوالبها القديمة ، ولولا مؤسساته الدينية لكان خسر قواه الروحية أيضا . وفي انعزاله الاقتصادي عن العالم المتمدن انعكف لبنان على نفسه يستثمر عناصر الحياة في أرجائه ، وصمم على المحافظة على كيانه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي مهما تطلب ذلك من تضحيات ومن حرمان في كليات الحياة ، فطبق سياسة الاستغناء والاستكفاء وكيّف حياته طبقا لموارده الطبيعية التي أوصلها إلى أكثف درجة من العمران الزراعي . تجمدت الحياة في لبنان في العهد العثماني القاتم ولم تقدر أن تجارى المدنية في مظاهرها الجديدة المتطورة . أما جوهرها فبقى سليما إذ حافظت

على تقاليدھا الراقية وعلى قواھا الروحية ، وبقى السكان في نمو مطرد والزراعة في تقدم مستمر . وقد حاول لبنان مرتين أن ينعتق من عزلته ويتحرر من السيطرة العثمانية الغاشمة . . . الأولى محاولة الامير نحر الدين المعنى الثاني الكبير الذي شاء أن يحرر لبنان من النير العثماني ويضعه في تيار شعوب البحر المتوسط الناهضة . والثانية محاولة الامير بشير الشهابي الكبير وقت حالف ابراهيم باشا وحارب الدولة العثمانية فكان للبنانيين والمصريين انتصارات باهرة في تلك الحرب الاستقلالية العظيمة .

ولكن شاءت الاقدار أن تخفق المحاولتان ، وحكمت الظروف ألا يظل لبنان على العالم المتمدن إلا عن طريق الاغتراب ، وهو موضوع هذه المحاضرة .

## بدء الاغتراب

في الثلث الاخير من القرن الماضي بدأ اللبنانيون بالاغتراب عن وطنهم . ومنذ أوائل هذا القرن أخذ اغترابهم يكثر ويلفت النظر ويتخذ شكلا من المهاجرة كمهاجرة الايطاليين والاييرلنديين إلى أميركا . ومع الزمن أخذ المغترب يستقدم المقيمين من أهله وأنسابه والمقيم يستجبر بالمغترب طالبا الالتحاق به ، إلى أن أمست تسمية تلك الحركة بالاغتراب غير منطبقة على الواقع ، لأنها أمست في العشرين سنة الأخيرة تعكس من المهاجرة . أمست نوعا خطراً من النزوح المتواصل الذي يؤول غالباً إلى الانقراض التدريجي والانصهار في أقوام غريبة .

وإلى الآن يتسامل اللبنانيون في وطنهم وفي أمصار اغترابهم عن أسباب

ذلك في الزواج الذي أدى إلى كارثة اجتماعية وشعبية . ولم يتفقوا بعد على جواب موحد يرضى رغبتهم في معرفة حقائق تعد معرفتها ضرورة أساسية في حياتهم . فمنهم من يرجع السبب إلى جور الأتراك . ومنهم من ينسبه إلى تعصب جماعة ضد جماعة . ومنهم من يظن السبب في فقر البلاد بمواردها الحيوية . ومنهم من يفتخر بالاغتراب ويسميه طموحاً لا يرضيه المحيط الضعيف فيفتش اللبناني عن محيط أرحب لآفاق نشاطه .

لا شك أن في هذه الأسباب المزعومة عوامل ساعدت على الاغتراب ، ولكن هناك في نظري عوامل رئيسية تتضح لسكل من يدقق في درس مجتمعنا ، وهذه الأسباب تكوّن نوااميس اجتماعية على الإنسان أن يخضع لها مهما كان جباراً .

## اللبناني متعبد لارضه

لماذا هجر اللبناني لبنان ؟

لماذا هاجر هذا الإنسان المتعبد لارضه كما يتعبد الفئساك في صوامعهم؟ لقد وصل اللبناني بحب ارضه إلى القول : « قفة شلوش ولا قفة قروش » . وهل توجد أرض في العالم تعب عليها شعبها كما تعب اللبناني على أرضه ؟

كما يدهن الفنان لوحته الفنية كون اللبناني هذا الجبل . وكما ينحت الفنان العبقري تمثاله اكب اللبناني على السفوح والهضاب ، على المرتفعات والوديان ، على الحزون والجبال ، خلال مئات طويلة من السنين ، يصب على أديمها كل ما في ساعديه من نشاط وما في دماغه من نبوغ وتفوق حتى جاء لبنان تمثالا جبارا للفن والنشاط ، وللجمال والقوة .

كل قبضة من التراب حركتها قبضة من العزم ، وكل حجر على المنعطفات ركزته يد عامل حاذق متفوق . وكل شجرة في البستان أو في الغابة قلبها أنامل مزارع خبير نشيط .

ونشأت على نمر الاجيال والقرون تقاليد وعادات لبنانية راقية ، انبثقت عن الانسان اللبناني وعن أرضه الحبيبة . عن ذلك التفاعل الدائم مئات من السنين بين الانسان ومورد حياته ، بين الانسان ومعامل مدنيته ، بين الانسان وحصون قواه الروحية ، حتى صار اللبناني ولبنان شخصية متحدة اتحاد الروح بالجسد . فهل يمكن أن يتنازل اللبناني بسهولة عن أرض شربت عرق جبينه وامتصت عزم ساعديه حتى صارت جزءاً منه وصار جزءاً منها ؟ هل يمكن لهذا النحات المغرم بصنع يديه أن يحتقر هذا الميراث الفنى العجيب الذى اشتركت فى صنعه أيادى أجداده ويدها حتى جاء أروع صورة تحت الشمس .

لا بد إذن أن تكون طرأت على اللبناني ظروف القاهرة أرغمته إرغاماً على أن ينسلخ عن معابد أرضه فما هى هذه الظروف القاهرة ؟

## مراحل الاغتراب

قد قسمت اغتراب اللبناني إلى ثلاث مراحل : —

المرحلة الاولى : — منذ بدئه فى الثلث الاخير من القرن الماضى إلى سنة ١٩١٨ وهى مرحلة الاغتراب المؤقت .

والمرحلة الثانية : — مرحلة المهاجرة والانحيار ، وقد بدأت تتكون أسبابها الرئيسية منذ سنة ١٩١٨ واستمرت إلى سنة ١٩٤٣ .

والمرحلة الثالثة : — وهى التى لا أقدر أن أعطيها اسماً الآن بل

اللبنانيون أنفسهم سيعطونها ذلك الاسم . فاما أن تكون ذيلا للانهيـار  
والانقراض التدريجي ؛ وإما أن تكون نهضة وطنية جبارة . نهضة إياب  
إلى الوطن الحبيب الناهض بصعوبة والمحتاج إلى كل فرد من اللبنانيين .

## المرحلة الاولى

### الاغتراب المؤقت

إن العوامل المباشرة التي دفعت اللبناني إلى الاغتراب المؤقت هي في  
نظري خمسة :

( ١ ) اتصال اللبناني بالغرب عن طريق البعثات الاكليريكية اللبنانية  
والمؤسسات الاجنبية .

( ب ) تقدم وسائل المواصلات البحرية وسهولة السفر .

( ج ) حب اللبناني للانعتاق من العزلة التي أوجدته فيها السيطرة العثمانية .

( د ) توتر الامن الداخلي بعد خلع آخر أمير لبناني سنة ١٨٤٢ .

( هـ ) كثافة السكان وضيق أراضى لبنان الزراعية وعدم تمكن الشعب

من إنشاء صناعات حديثة لانعزاله عن التطور الصناعي في الغرب أو من  
الانتقال إلى السهول الخصبة لعدم استتباب الامن .

هذه هي العوامل التي سببت المرحلة الاولى من الاغتراب اللبناني فان

هذه العوامل تضافرت ودفعت اللبناني ليشق الحصار الاجتماعي والاقتصادي  
المضروب حوله منذ أجيال عديدة .

والفضل الاول في فتح شبايك نور من الغرب لا يرجع إلى البعثات

الاجنبية كما يتوهم البعض بل إلى البعثات الاكليريكية اللبنانية ؛ فان هذه  
البعثات اللبنانية بدأت تتصل بالغرب منذ سنة ١٦٠٠ بينما الأخرى لم تتصل

بنا إل حوالى سنة ١٨٥٠ . وإذا كنا نلوم المؤسسات الاكليريكية اليوم لتورطها فى ميادين السياسة ؛ فاننا لاننكر عليها خدماتها الثقافية والروحية الماضية بل ن سجلها بالتقدير والاعجاب . ونلومها اليوم لأنها أهملت الحقل الثقافى والروحى وانجرفت مع تيار السياسة وهى تجهلها . وإذا أعطيت الفضل الاول إلى بعثاتنا الاكليريكية فاننى لا أنكر ما للمؤسسات الثقافية الاجنبية من فضل فى نهضة لبنان الثقافية كما أنه لا يمكننى أن أتعمى عن الضرر الذى ألحقته بالبلاد بعض تلك المؤسسات الاجنبية عند ما بدأت تستعمل الثقافة والدين لأغراض سياسية أجنبية .

بدأ الاغتراب أولاً فى العيال العديدة وفى الافراد المتعلمين . فالعيلة التى كانت تتألف من ثمانية أشخاص إلى اثنى عشر شخصاً ، وما كان أكثرها فى لبنان القديم ، — بدأت ترسل شخصاً أو اثنين من أفرادها ليحربوا حظهم فى أميركا الغنية . فالاملاك الضيقة فى الجبل لم تكن تسفى هذه العيلة العديدة لتتجزأ بعضها عن بعض وتؤلف عيالا مستقلة . والمتعلم لم يكن يجد مجالا للعمل لأن كل المشاريع التى يمكن أن تستخدم المتعلمين كانت مفقودة إلا اذا أراد ان يكون معلم أولاد فى قرية جبلية صغيرة .

كان يسافر اللبناني فى بادى الامر وفى رأسه فسكرة عمرانية نشيطة تنقسم إلى قسمين : الاول أن يساعد أهله على البقاء فى الوطن والاهتمام بالاملاك وتحسينها ؛ وثانياً أن يجمع مئات من الليرات الذهبية ويعود إلى لبنان فيشترى أرضاً ينقها ويشجرها توتاً وكروماً ثم يعمر فيها بيتاً صغيراً ويؤسس عيلة مستقلة . وهكذا بدأ لبنان المغترب يساعد لبنان المقيم على الثبات والعمران والتقدم .

لم يكن الاغتراب عاملاً هداماً إلى سنة ١٩١٤ :

بقى الاغتراب يزداد مدفوعاً بالعوامل المذكورة إلى أن اشتعلت الحرب الكبرى ١٩١٤ . ولكن إلى ذلك الحين كان الاغتراب في أخذ ورد ، يزيد الاغتراب عن الإياب قليلاً ، ولكن هذه الخسارة تعوض بما يرسله المغتربون من مال ليساعدوا على تحسين العمران من كل نواحيه وعلى تأسيس عيال جديدة . فالأب يساعد أبنائه والشقيق أشقائه ، وهذه المساعدات كانت تشجع حركة الزواج وتزداد المواليد من سنة إلى سنة .

لم يكن الاغتراب إلى سنة ١٩١٤ قد أحدث أى تأثير انخطاطى تهديعى على لبنان . فالسكان كانوا في ازدياد مطرد وموارد الحياة الزراعية والصناعية في تقدم . فزراعة التوت وصلت في ذلك الحين إلى الأوج ، حتى بلغ محصول الشرائق في سنة ١٩١٤ خمسة ملايين كيلو . وهو أعلى محصول سنوى وصل إليه لبنان في تاريخه . وصناعة الديما وسائر الأقمشة كانت تعم العائلات المتوسطة والطبقة العاملة ، فكان يندر أن تجد بيتاً في الجبال ليس فيه نول أو غولان . ولم تكن في لبنان يد بطالة ، والزراعة كانت وصلت إلى مدى من الكفاية لم تبلغه بلاد جبلية في العالم . إن السائح الغريب كان يندهش بدون شك عند ما كان يرى أشجار الزيتون مغروسة بين الصخور في أحراش السنديان والعفص وعند ما كان يرى شجرات التوت تحيط بكل بيت في الجبال حتى لا تترك إلا امر رجل ، طريقاً إلى البيت ، وأحياناً عديدة كنا نرى توتة كبيرة نابتة من تحت الدرج أو من تحت حائط البيت حافظ عابها الآباء لا ليتفياؤها ظلها بل ليستغلوا أوراقها . ولا شك أن الغريب الماشى ليلاً في الجبال كان يتساءل عن سبب هذه الحركة المسموعة تهريباً في كل بيت ، وكان يظن أن اللبنانيين يقومون في

الليل ليدقوا الكبة . أما الحقيقة فهي أن تلك الحركة ما كانت إلا ضرب  
الانوال . إن صناعة الديما كانت صناعة قومية دخلت في الحياة العائلية  
وصارت جزءاً منها كترية دودة القز بل أكثر ، لأنها تشغل العيلة طيلة  
السنة لا في فصل واحد .

إن قسماً كبيراً من منتوج الديما كان يصدر إلى الأناضول وإلى مناطق  
أخرى من الامبراطورية العثمانية . فالصناعة اللبنانية إذن رغم انعزالها عن  
النهضة الصناعية الغربية تمكنت من أن تتقدم قليلاً وتصبح مورداً رئيسياً  
من موارد البلاد الصناعية .

### الحرب الكبرى :

وجاءت الحرب الكبرى بويلاتها وأهوالها ، فقطعت كل صلة بين  
المغتربين والوطن ، وانهارت على لبنان بكوارثها القتالة : من الاحتلال التركي  
الحرب ، إلى المظالم السياسية التي أدبت الرعب في كل قلب ونصبت المشانق  
لكل من يتنفس بالحرية ، إلى المجاعة المرعبة التي أفنت ثلث سكان لبنان ،  
وخربت ثلث أراضي الزراعية ، وثلث بيوتاته الجبلية .

وقد خرج لبنان من الحرب الكبرى مشوهاً تشويهاً مخيفاً في شعبه  
وفي عمرانه . فالتقدم الزراعي الذي كان يحول لبنان إلى بستان كبير من  
التوت والزيتون والكرم والتين والليمون ترتفع فيه البيوت الجبلية  
البسيطة أمسى شبه خراب يترامى للنظر كأنه حديقة غناء داسها جيوش  
البرابرة بعد أن كانت نسقتها بحذق وذوق ولطف أنامل عادة عبقرية تريد  
أن تستقبل حبيبها .

لم يكن من أمل في إعادة العمران إلى لبنان بالاعتماد على إمكانياته كما

حدث في البلدان الاخرى التي خربتها الحرب ، لانه لم يكن في لبنان الوعي الكافي لاحداث نهضة اقتصادية تعيد إلى الشعب نشاطه الاقتصادي وتستثمر موارده الحيوية .

سقط محصول الشرائق سنة ١٩١٨ إلى ثمانمئة ألف كيلو بعد أن كان خمسة ملايين كيلو سنة ١٩١٤ وكانت الحالة تنذر بكارثة أشد فتكاً من السكارثة التي لم تتوار أشباحها المخيفة بعد .

ولكن المغترب اللبناني ، الذي قضى أربع سنين الحرب الكبرى منعزلاً عن وطنه وأهله كأنه في منفى ، كان مستعداً أن ينفق كل ماله في الحرب تخفيفاً للآلام والعذابات التي تحملها أهله خلال أربع سنوات من الظلم والارهاق والمجاعة .

فما كادت الحرب تضع أوزارها حتى بدأت أموال المهاجرين تنهال على لبنان من كل جهات العالم . ولم تأت سنة ١٩٢٠ حتى بدأ المغتربون يصلون إلى لبنان حاملين أموالهم وكنوزهم وغمرت لبنان بجبوحه من العيش جرب اللبناني خلاها أن يرسم معالم الجبل المنهار .

ولكن مع المغتربين وأموالهم ، ومع دخول الحلفاء وجيوشهم اجتاحت لبنان ، موجة طاغية هي موجة المدنية الغربية . بمستوى مادياتها العالي وكالياتها الغالية . هي مدنية لا تتحمل نفقاتها إلا الشعوب الغنية التي بنت حياتها على أسس اقتصادية لا تتزعزع . الغرب وصل إلى هذا المستوى من الحياة بالتدرج ، فكان النشاط الاقتصادي بمثابة دولاب يشد بمستوى الحياة إلى الارتفاع الدائم . أما عندنا فقد حمل الانتداب الفرنسي والمهاجرون أساليب الغرب في الحياة ورموها فجأة في مجتمع لم تصل اقتصادياته إلا بالسكدة إلى سد ضروريات الحياة الملحة .

غذى المغتربون العائدون والمغتربون المقيمون في مهاجرهم هذا الوضع الجديد نحو خمس سنوات وأكثر، ولكنهم عجزوا أخيراً عن متابعة السير على هذا الموال. أيقدر المغتربون أن يتحملوا عبء المقيمين مع المستعمرين واللاجئين ؟ ! بدا العائدون بالاغتراب من جديد ، وشحت الحوالات المالية من المهاجر وكان ذلك حول ١٩٢٦ .

منذ ١٩٢٠ بدأت جرائم الانهيار تفعل ببطء في جسم السكان اللبناني الاجتماعي والاقتصادي .

لبنان المحافظ منذ أربعمئة سنة على مستوى من الحياة وقاه من الكوارث الاجتماعية والاقتصادية ، لبنان الذي نما سكانه وازدهرت اقتصادياته رغم انعزاله والحصار المضروب حوله ، هذا اللبنان زاح عن محوره الاجتماعي والاقتصادي منذ أن عاد ألوف المغتربين بعد الحرب ، ومنذ أن استتب الانتداب الأوربي . زاح عن محوره القديم ، محور الانعزال والحفاظة ، وترك لنفسه مشلولا يعيش على هامش الدورة الاقتصادية العالمية . ليس له محور جديد يحل محل المحور القديم : فلا هو قادر أن يتابع سياسة الاستغناء والاستكفاء ، ولا هو قادر أن يجارى السير الاقتصادي العالمي .

جرب اللبناني المقيم ، والمغترب العائد أن يربما معالم الحياة اللبنانية القديمة ويجددا شبابها ، واستمر هذا النشاط الجديد إلى سنة ١٩٢٩ فارتفع محصول الشرائق من ٨٠٠٠٠٠ كيلو إلى ٢٣٠٠٠٠٠ سنة ١٩٢٩ .

ولكن ذلك النشاط المبذول وتلك الاموال المنفقة ذهبت كلها أدراج الرياح ، إذ أن سقوط الأسعار المصطنع وتقلبات النقد الغير مبررة أوقفت اللبناني في حالة مريرة من اليأس ، فأهمل زراعته الرئيسية بعد سنة ١٩٣٩

وعاد المحصول يتدهور حتى وصل إلى نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلو سنة ١٩٣٦ .  
وإذا شددت على التدقيق في محصول الشرائق فليس لأن المحاصيل  
الأخرى كانت أكثر حظاً ، بل لأن محصول الشرائق هو المحصول الرئيسي  
المعول عليه في حياة اللبنانيين .

## المرحلة الثانية

### مرحلة الانهيار

« راحت السكره وجاءت الفسكرة » يقول المثل اللبناني .  
إن أحلام القصور والبساتين والسكروم والحياة الرغيدة في ربوع  
لبنان قد تحولت بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٣٩ بصورة خاصة إلى كابوس  
مخيف . الثروة التي جاء بها المغتربون بعد الحرب الكبرى والتي كانوا يغذون  
بها وطنهم خلال هذه السنوات كانت تنوب كشمعة في لهيب . وكل  
النشاط الزراعي والتجاري الذي بذله اللبناني المقيم والمغترب لوضع أساس  
لحياة جديدة ثابتة أخذ يتدهور مع سقوط أسعار المحاصيل ومع تقلبات  
النقد حتى يئس اللبناني أخيراً من العمل في بلاده واندفع بكل قواه في  
تيار المهاجرة اليائسة .

بدأت إذ ذاك كارثة المهاجرة الحقيقية . ألوف من المغتربين الذين  
جاءوا بعد الحرب الكبرى بثروات طائلة وجدوا أنفسهم مضطرين أن  
يهجروا وطنهم من جديد بعد أن خسروا ثرواتهم . عيال ألوف كانت  
جمعت نفسها بعد التشتت عادت تهجر كلها دفعة واحدة منتشرة من جديد  
في أقطار مختلفة . وكل ما أنفقوه من المال للعمران والتجديد سيمسى كمية  
مهملة يميها الهجر والاهمال .

وبقى تيار المهاجرة الانقراضية يحرف اللبنانيين إلى سنة ١٩٣٩ . كان يحرف كل طبقات الشعب من العامل والفلاح إلى الملاك المتوسط ؛ إلى التاجر الذى أفلس فى بيروت ؛ إلى ابن العائلة الارستوقراطية العريقة فى الزعامة .

ومن راقب المهاجرة اللبنانية كما راقبتها أنا من سنة ١٩٢٥ إلى ١٩٣٦ فى مرفأ مرسيليا كان عنده الخبر اليقين عن آلامها وتعاستها . رأيت فلاحين فى الستين من عمرهم تاركين عيالهم ؛ بائعين أبقارهم ، راهنين أملاكهم ، ومغامرين فى سفرة إلى البلاد السوداء . رأيت دكاترة فى الحقوق مسافرين إلى دكار ليتاجروا فى الكولا والفسق . رأيت تجاراً بيروتيين قابعين فى دسكرة من دساكر أفريقية بعد أن كانوا يملكون المتاجر الواسعة . رأيت عيالا تتشرد . رأيت شعباً تمزق أوصاله ويسير إلى الفناء والانقراض .

### أسباب المهاجرة الانقراضية :

والآن يحق لنا أن نتساءل ما هى الاسباب الرئيسية لهذه المهاجرة الانقراضية الجنونية ؟

الاسباب فى الدرجة الاولى هى اقتصادية وفى الدرجة الثانية اجتماعية وسياسية ، وهى فى نظرى أربعة : —

١ — دخول المدنية الغربية فجأة إلى لبنان واندفاع اللبنانيين فى تيارها

٢ — النقد الورق وسرقاته .

٣ — إهمال مواردنا الاقتصادية الحيوية وعدم وجود سياسة اقتصادية قومية تحميها وتشجعها .

٤ — عبء الدولة اللبنانية الثقيل .

قد بينت في مجرى الحديث مساوىء دخول المدنية الغربية فجأة مع  
المغتربين العائدين والحلفاء . وبينت كيف تدهور موردنا الزراعى الرئيسى  
وهو تربية دودة الحرير . بقى على أن أبين كيف تدهورت بقية مواردنا  
وأن أشرح الاسباب الاخرى :

### النقد :

كلنا يعلم أن النقد هو عصب الحركة الاقتصادية ، خصوصاً في بلاد  
لا توازن بين وارداتها وصادراتها . فالعجز في صادراتنا بعد الحرب  
الكبرى كان دائماً يمثل أرقاماً ضخمة مخيفة ولكن أموال المهاجرين كانت  
تحاول دائماً سد هذا العجز . واللبنانى تعلم خلال أربعة قرون من الانعزال  
والمحافظة أن يقتصد وأن يوفر القرش الأبيض لليوم الأسود .

كان سد العجز ممكناً في المرحلة الاولى من الاغتراب ؛ وقت كان النقد  
ليرات ذهبية رنانة يتمنطق بها الجبلى بعد أن يبيع مواسمه أو أن يقبض  
حوالة من المهجر فيشعر أنه ملك مجهول . ويشعر بقوة وعزم للنضال  
والدفاع عن كل شبر من أرضه . وقت كانت الام تخفي الذهبيات والمجديدات  
في صندوقها فتشعر بطمأنينة دائمة : إذا جاء فجأة عريس لا بلتها تكون  
مستعدة لتجهيزها .

كان ذلك ممكناً وقت كان الشعب المقتصد كشعبنا إذا حرم نفسه من  
بعض الكماليات وقر على نفسه يستعيض بالطمأنينة عن التمتع بكماليات  
الحياة . أما عند ما صارت ورقاته تبوخ وتشيع بين يديه كما تبوخ وتشيع  
أوراق الأشجار في الخريف فصار الافضل أن ينفقها ويتمتع بها .

لم تمض أشهر على ظهور النقد الورقى حتى بدأ بالسقوط ، فأخذ  
اللبنانيون يسرعون في تصريف ما معهم من الذهب ظناً منهم أنهم سيربحون

عندما تعود الليرة إلى ما كانت عليه وقت ظهورها . إن أفراداً من الجبلين  
ما يزالون يظنون إلى الآن أن الليرة العثمانية ستعود إلى سعر خمس  
ليرات لبنانية .

أما التجار والصرافون والبنوك الصغيرة فكانت حالتها أتعس من  
باقى فئات الشعب . تصور تاجراً يبروتياً عليه أن يبدل نقده مرتين كل  
يوم : في الصباح يبدل الذهب ورقاً ليقدر أن يشتغل ، وفي المساء يبدل  
الورق ذهباً ليقدر أن ينام .

ولكن رغم كل هذه الوقايات الاصطناعية فإن طبقة التجار كانت  
معرضة كل دقيقة للافلاس وهذه الحال من الخوف كانت تجرد رساميل  
ضخمة في صناديقها الحديدية وتشل الحركة الاقتصادية والعمرانية  
في البلاد .

إن شعباً كالشعب الفرنسي أو الإنكليزي أو الأميركي إذا كان نقده في  
خطر فإن الحركة الاقتصادية القوية التي توفرها له دولته تمكنه من تجديد  
ثروته . وإذا خسر قسماً من ثروته في سبيل الدولة فإن هذه الدولة وجدت  
لتحمي مصالحه العامة وهي تعلم كيف توفر له أسباب الإثراء من جديد .  
ولنفترض أن دولته لم تعوض من خسارته فإنه يشعر أن من واجبه  
أن يضحي في سبيل دولته وشعبه . أما نحن فلم يكن من واجباتنا أبداً أن  
نضحي بثروتنا ، بتوفيراتنا وتقديراتنا الطويلة ، بتعب آباءنا وأولادنا سنين  
طويلة في المهجر ، لم نكن نشعر أبداً أن ثروتنا يجب أن تنسرب إلى بنك  
فرنسه ، وتذهب ضحية رخيصة مجهولة حتى من الشعب الذي تضحي  
في سبيله .

لكل شعب من شعوب العالم موارد حيوية في وطنه هي بالنسبة اليه كئدى الام بالنسبة إلى طفلها . ولولا هذه الموارد الحيوية لما وجد ذلك الشعب وعاش في وطنه .

وإن هذه الموارد الحيوية قد استأثرت مئات من السنين بجهود الشعب حتى اختبرها واكتشف أسرار استثمارها .

ماذا يبقى من الشعب البرازيلي لو انقرضت زراعة البن ولم تحل محلها بواسطة الدولة زراعة قومية ثانية ؟

ماذا يبقى من الشعب الفرنسي لو ماتت عنده زراعة الكرمه واندثرت صناعة المشروبات الكحولية ، وصناعة الروائح العطورية ؟

ماذا يبقى من الشعب الدنمركي لو تخربت مزارعه وفنيت تربية المواشى عنده وتعطلت معامل الالبان في وطنه ؟

ماذا يبقى من الشعب المصرى لو تلاشت زراعة القطن والرز ؟ وماذا يبقى أخيراً من الشعب اللبناني لو ماتت زراعة وصناعة الحرير وزراعة وصناعة الكرمه والزيتونه ، وزراعة وصناعة الفاكهة ؟ الجواب هو أنه إذا ماتت موارد هذه الشعوب الحيوية لا بد من أن تتلاشى تلك الشعوب تدريجياً .

أجل لم تمت موارد الشعوب التي سميتها لأنه قدر لها أن تتمكن من حماية موارد حياتها وبقائها ، ولم تمت إلا موارد لبنان فقط .

فبعد أن تدهور موسم الحرير كبل موسم التبغ بقيود قتالة فقضى عليه وتجمد موسم الفاكهة لأنه لم يعط أسواقا في الخارج ، وانحط موسم

المكرمة والزيتونة لهبوط الاسعار هبوطاً لم يعد يعطى أجرة اليد العاملة .  
والهبوط هو دائماً دليل الخراب .

قد يقول قائل ان أسباب تدهور محاصيلنا كانت خاضعة لعوامل  
اقتصادية عالمية . كأن يقول ان حريرنا الطبيعي قد جرف في تيار الحرير  
الاصطناعي الياباني وغير الياباني .

كلا . . هذه خرافة من الخرافات التي كانت تنتشر في مجتمعنا ففضل  
الشعب وتجعله يستسلم إلى اليأس . حتى أن أستاذاً كبيراً في الاقتصاد  
كالاستاذ حمادة وقع في هذا الخطأ فقال في كتابه :

( Economic Organisation of Syria ) ما حرفيته : —

« إلا أن انتشار استعمال الحرير الاصطناعي والهبوط العام أثر في  
أسعار الحرير تأثيراً سيئاً فنتج عنه تدهور في تربية الشرائق وأجبرت معامل  
حرير عديدة على إقفال أبوابها . فهبط عددها من ٨٥ عام ١٩٢٩ إلى ٣٥  
عام ١٩٣١ . »

وتعليقاً على خطأ الاستاذ حمادة يقول أحد المقررين المدققين : —

« ومن الغريب جداً أن يكتفي الناس بهذا التفسير ويعرضوا عن ثروة  
هائلة دون أن يكلفوا نفوسهم عناء البحث والتنقيب . وهم لو فعلوا ذلك  
(أو بالاحرى لو فعلت ذلك حكوماتهم) لوجدوا أن هنالك أموراً عديدة  
تناقض نفسها بنفسها . أهمها أن إنتاج الحرير الطبيعي كان في ازدياد مطرد  
في اليابان والصين وإيطاليا والهند حينما كان في هبوط مستمر في لبنان ،  
وحينما كان الحرير الاصطناعي في أوج ازدهاره . والاحصاءات التالية  
تبين دون ما جدل حقيقة رائعة ألا وهي أن الحرير الصناعي في العالم  
لم يؤثر على سوق الحرير الطبيعي بل بالعكس زاده رواجاً في معظم الحالات

وهذه الاحصاءات نشرتها شركة الحرائر الاميركية :

« إن الحرير الطبيعي ارتفع تصديره في اليابان من خمسة وعشرين

مليون كيلو سنة ١٩٢٥ إلى ٣٦ مليون كيلو سنة ١٩٢٩ » .

« وتقول مجلة ( Indian Textile Journal ) الصادرة في نيسان

( أبريل ) سنة ١٩٣١ وقت كانت أقة الشرائق تباع في لبنان باثنى عشر قرش

ونصف ، بسعر لا يمكن أن يتصوره عقل ، تقول تلك المجلة :

« مهما يكن في الامر من غرابة فاننا نعلم الآن بالاختبار أن الحرير

الصناعي يشجع إنتاج أصناف عديدة من الحرير الطبيعي » .

وفي ذلك الوقت الذي كان ينهار فيه موسم الحرير في لبنان ولا يربي

الناس دودة القز إلا بدافع الاستمرار والعادة وطمعاً بالجزء لعلف البقر

في ذلك الوقت تماماً كانت تنظم في اليابان وفي الصين وفي تنجنيكا وفي

قبرص حركة تشجيع لزراع التوت وتربية دودة الحرير .

وبعد أن قضى قضاء تاماً على موسم الحرير رأت سياسة « فرق تسد

وأفقر تستعبد <sup>(١)</sup> » ، أن هناك موسماً قومياً ثانياً يجرب أن يحل محل موسم

القز في بعض المناطق ويجرب أن يصبح زراعة وصناعة راقية قد تدر على

لبنان ملايين الليرات الذهبية . وقد تجعل من اللبنانيين صناعيين في صنف

يعد كالياً بأسعاره العالية ، وضرورياً بعدم استغناء الناس عنه ورواجه

في العالم . إنه قد يصبح صنفاً قابل التصدير بكثرة بسبب تقدم اللبنانيين

بسرعة في فن إعدادة . لذلك عمدت المفوضية الفرنسية على احتكاره

وحصر زراعته في أراض محدودة وفي أياد معدودة . فأنشأت مؤسسة

---

(١) إذا كان الفرنسيون يرون في هذه المحاضرة تحاملاً على فرنسا ، فانهم ، بكل أسف ،

يكونون ما يزالون مسيرين بقوة الاستمرار في تفكيرهم الاستعماري العتيق الذي لا يفرق بين

الشعوب الابتدائية والشعوب المتقدمة ، ولا يميز بين فرنسا وبعض الاستعماريين الفرنسيين .

المونوبول الاستعمارية وصادرت كل المعامل اللبنانية وعطلت ألوفاً من العمال عن العمل وألوفاً من المزارعين عن الانتاج .

هبت البلاد من أقصاها إلى أقصاها تريد دفع هذا الحيف عنها ، تريد أن تقف في وجه هذه الوقاحة الاستعمارية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاستعمار العالمي ولكن عبثاً .

صعاليك السياسة سلخوا أخيراً بالامر الواقع ، والسلطات الفرنسية كانت مصممة على المضى بذلك المشروع التهديمي مهما كلف الامر .

وقضى أخيراً على هذا المورد الحيوى الذى كان يضاهى موسم الحرير وصناعة الديما في تغلغله في العيلة حتى يصبح جزءاً رئيسياً من حياتها . إن زراعة وصناعة التبغ كانت تتعاون العيلة اللبنانية كلها من صغيرها إلى كبيرها على استثمارها .

ما كان أجمل تلك العقود الشقراء تشكها أنامل الفتاة اللبنانية بفن وحذق وتعلقها على السطوح فتظهر للناظر كأنها أدوات زينة يصدرها لبنان إلى بلاد الزنوج .

وما أطيب السيكارة بعد أن تكون قلبتها في يدها أنامل جبلية صنعتها في بيتها قرب الموقدة وهى تصفى إلى حديث من تحب أو تسر ما يختلج في فؤادها الطاهر . إنها سيكارة تحمل عادات وتقاليد شعب وتحافظ على حياة الشعب ومن قضى على هذه السيكارة الصغيرة قضى على حياتنا .

أما مأساة الفاكهة في لبنان فهى مأساة الزراعة كلها ، بل مأساة شعب كامل تتمثل فصولها منذ عشرين سنة .

إن الشجرة اللبنانية المثمرة تغيرت في سواحل لبنان أربع مرات في

عشرين سنة . تصوروا ما يمكن أن تكلف الشعب عمليات كهذه . وقد ترك الشعب لنفسه مهملًا ، يقدّر ما يريد ويفعل ما يريد ، مضارباً بشروته وجهوده . تصوروا فلاحاً يقدم بجرأة وثقة بنفسه نادرين إلى تجديد التوت بعد الحرب الكبرى ، ثم إلى اقتلاع التوت وتشتيل الموز والليمون لما ارتفعت أسعارهما ، ثم إلى اقتلاع الموز والليمون وزرع التوت من جديد ، ثم إلى اقتلاع التوت كله بعد سقوط أسعار الحرير وغرس الليمون والموز مجدداً ، وأخيراً ، حول سنة ١٩٣٧ ، تسمى كل البساتين تقريباً مرهونة عند المصارف الأجنبية أو عند المرابين .

كما قتل الحرير والتبغ قتلت الفاكهة تماماً ، فلم تكن للفاكهة اللبنانية أسواق في العالم بل كان على اللبنانيين أن يتحولوا إلى حيتان برية تلتهم كل محاصيلها . أما وارداتهم فتدفع من أموال المهاجرين .

وتصدير الفاكهة من لبنان كان خاضعاً لتقلبات الطقس في أوروبا : فإذا اجتاحت بساتين إسبانية عاصفة هوجاء وأتلفت ثمارها ، وإذا شحت المحاصيل في أفريقية الشمالية وإيطاليا لحقنا نصيب من التصدير . وإلا كان علينا أن نوسع معدنا أو نهمل بساتيننا .

قد رأيت ألوف صناديق الليمون في مارسيليا يرفض قبولها لأنه كتب عليها : ( Exporté du Liban ) والصحيح في نظر الاستعماريين أن يكتب عليها :

( Exporté des Etats du Levant sous mandat français )

يعنى أن اسم لبنان يجب أن يتلاشى مع الوقت ويبرز التعبير الذي يفهم كل إنسان أن هذا البلد تحت الانتداب الفرنسي .

والغريب الغريب أنى راجعت مرة دائرة الاستيراد في مارسيليا وطلبت استيراد كمية كبيرة من الفاكهة فقبل لي أن الكمية التي سمح بها

لبنان هي محدودة لأن هذا البلد هو مستقل وليس بيننا وبينه معاهدة تجارية .

بئس الاستقلال يا بشر ! ليتنا كنا مستعمرة ! إذن لافدنا من نظام المستعمرات ، فقد حدث لنا ما حدث لأحد الظرفاء اللبنانيين الذي كان يدعى دائماً إلى حفلات الأعراس ليهرج ويضحك الجمهور . أما في الولايم فكان الناس ينسونه حتى قال لهم أخيراً :

« لم يكن في دق ورقص يقولوا وين راح طنوس . ولم يكن في أكل وشرب يقولوا هادا منحوس . »

أنستعمر هذا الاستعمار الفظيع ولا يكون لنا الحق بالتمتع بنظام المستعمرات الاقتصادي ؟

وأخيراً لو لم تحدد الحكومة اللبنانية سعر ليرة الذهب وتقسط الديون حتى قتلت الدائن قتلاً ، ولو لم تأت الحرب فترتفع أسعار الفاكهة وتستهلكها جيوش الحلفاء لكانت كل بساتين لبنان صارت ملكاً للمصارف الأجنبية والمرابين .

لقد اندثرت مواردنا الزراعية والصناعية الواحد بعد الآخر وجرفت معها ما كان في أيدي اللبنانيين من التوفيرات ، فهل يمكن أن نتسامل بعد لماذا هجر اللبناني لبنانه ! ؟ ..

وهل أدركنا بعد هذا الوصف التفصيلي ماذا يجب أن نفعل لنوقف تيار المهاجرة ؟ . يجب أن نجدد معالم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أسس قومية جديدة تؤمن لنا استثمار أرضنا واستثمار مواهب شعبنا لمصلحته فقط .

إذا أردت أن أتوسع في هذا الموضوع تحتم على أن أستعرض كل أطوار السياسة اللبنانية والانتدائية ، وبما أن هذا الموضوع قد شئت أن يكون اجتماعياً اقتصادياً بقدر ما يتمكن المرء أن ينفصل عن السياسة ، لذلك لن أتوسع في هذه الناحية من المحاضرة بل سأعطيكم صورة مختصرة عن هذه الدولة اللبنانية التي سميتها عبثاً على كاهل الشعب .

كانت الدولة اللبنانية خلال خمس وعشرين سنة ذات أشكال وأجهزة تكلف الشعب اللبناني ما تكلفه دولة تؤمن لشعبها كل إمكانيات الحياة ، مع أنها لم تكن في حقيقتها العملية إلا وسيلة لنهك الشعب وتخريبه بوسائل دستورية ، فالدولة اللبنانية بكل مؤسساتها لم تكن إلا دائرة من دوائر المفوضية الفرنسية تنفذ كل ما تؤمر بتنفيذه بجمل ولا مبالاة لا حد لهما .

فتصوروا كل مواردنا الحيوية التي ذكرت تنهار الواحد بعد الآخر بدون أن تشعر الحكومات اللبنانية بذلك الانهيار الذي يؤدي ، وقد أدى حتماً ، إلى انهيار في المجتمع اللبناني وفي العمران اللبناني .

وتصوروا كل مرافق البلاد : من موانئ وجمارك ومصارف وبنوك وبريد وتليفون ومصالح مشتركة وشركات استثمارية ، تصوروا كل هذه المرافق في أيدي المفوضية تستثمرها لتغذي ملاكها الانتدائي وجيوشها .

إذن ما هو العمل الحيوي الذي كانت تقوم به الدولة اللبنانية لتستحق أن توجد ؟ لتستحق أن ترهق كاهل الشعب بالضرائب ؟ الموارد الحيوية تخربت كلها .

والمرافق الحيوية في يد الأجانب !

قد وجدت الدولة اللبنانية إذن لتصرف بعض أعمال إدارية بسيطة ولتعطى صورة دستورية شرعية لسلل الأعمال التخريبية التي ارتكبت خلال خمس وعشرين سنة . فالدولة اللبنانية إذن بكل مؤسساتها التشريعية ، والتنفيذية والقضائية والإدارية كانت عاملاً رئيسياً من العوامل التي سببت كارثة المهجرة .

بعد أن رأينا كيف تضافرت كل العوامل الهدامة ودفعت بالبناني ، بعشرات الآلاف من اللبنانيين ليهاجروا يائسين من إصلاح بلادهم يجب أن نسأل :

هل كان بإمكان اللبناني أن يتغلب على كل هذه العوامل ويبقى في بلاده ؟

وأجيب : — « كلا » .

إن هناك نوااميس اجتماعية قد يتغلب عليها أفراد قلائل أما المجموع فيتحتم عليه الخضوع لها .

يهاجر شعب من الشعوب الراقية كشعبنا عند ما يوجد في أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية لا تتجانس مع مستواه التمدني ومع طموحه إلى الارتقاء الدائم . فان شعباً عريقاً في المدنية كشعبنا عرضت أمامه كل وسائل الحياة الراقية بعد الحرب الكبرى ، فأراد بعد انعزاله الطويل وحرمانه ، أن يتمتع بكل مقومات الحياة الراقية ، وأن يستثمر كل موارده وإمكانياته المادية والفكرية والروحية ، ولكن نظاماً مختلفاً فرض عليه فرضاً فأحدث خللاً أساسياً في متطلبات المدنية وفي الإمكانيات الاقتصادية ، فأل ذلك الخلل إلى انهيار اجتماعي واقتصادي وسياسي .

## المرحلة الاخيرة

والآن أصل إلى النقطة الأخيرة . إلى المرحلة الثالثة والاخيرة من مراحل المهاجرة اللبنانية . مرحلة ما بعد الاوضاع اللبنانية الجديدة . هل تقف المهاجرة أم تستمر ؟ هل يعود قسم من اللبنانيين المهاجرين أم ينصهرون كلهم في الاقوام التي نزلوا بين ظهرانيها .

لن يجيب على هذه الاسئلة إلا الوضع اللبناني الجديد والمهاجرون أنفسهم . إنى أرى القاهرة تتحول إلى مارسيليا جديدة بالنسبة إلى المهاجرة اللبنانية . في فنادق القاهرة عدد من اللبنانيين لا يقل عن المئة ينتظر الطائرات في طريقه إلى المهاجر ، وهذا العدد يتجدد كل أسبوعين أو ثلاثة فإذا كانت هذه حالنا والمواصلات ما تزال في صعوبة كبيرة فما تكون حالنا عند ما تفتح كل طرق البر والبحر والجو .

أرى أن مسؤولية إيجاد علاج لوقف المهاجرة ، أو حصرها في اغتراب طبقة التجار اغتراباً مؤقتاً ، تقع أولاً على حكومتنا الاستقلالية الجديدة وثانياً على المهاجرين .

لقد كان نخامة رئيسنا الجليل الشيخ بشارة الخورى واقعيًا وصريحًا في ندائه الاخير إلى المغتربين فأطلعهم على نواح عديدة من النواحي الداخلية اللبنانية .

وبعد أن يعدد بعض المشاريع العمرانية التي تحققت يقول نخامته : —  
« أجل . إننا لا نزال بعيدين عن السكال . غير أننا قد مشينا خطوات لها قيمتها الاكيدة في هذا الحقل . وعلينا أن نتم عملنا بمعونتكم لتجهيز البلاد تجهيزاً اقتصادياً شاملاً بعد هذه الحرب » .

إلى أن يقول خاتمة :

« وإذا اتجهنا بأنظارنا إليكم لمعاونتنا في سبيل تحسين اقتصادياتنا ؛ فلا نطلب منكم معونة مجانية وإن كنتم مستعدين لاعطائها لمواطنيكم كما فعلتم بالماضي — بل كل ما نطلبه منكم أن تقوم رسائلكم بمقام الرساميل الأجنبية . فتفيدون وطنكم من وجهة مادية ووجهة معنوية وتستفيدون بصورة مشروعة مع كل الضمانات التي يقتضيها مثل هذا التعاون بالرساميل وهذا كله في مقدوركم وإمكاناتكم » .

لأول مرة منذ خمس وعشرين سنة يخاطب المهاجرين مسؤول كبير في الدولة بلغة العقل والواقع لا بلغة العاطفة المألوفة . فكم بالحرى إذا كان هذا المسؤول هو رئيس هذه الدولة والمسؤول الأول عن مصير الشعب . أجل . إن فخامة الرئيس كان واقعياً وصريحاً ، والمهاجرون سيكونون أيضاً واقعيين وصریحين في جوابهم . وأنا كمهاجر عاش خمسة عشر عاماً خارج وطنه — بحب المهاجر اللبنانية متاجراً ودارساً — ثم عاد إلى وطنه ورافقه في تطورات السياسية من ١٩٢٩ إلى ١٩٤٥ يمكنه أن يمثل تفكير أكثر المغتربين والمهاجرين ويمكنه أن يلخص شروط المهاجرين كي يساهموا في تجهيز البلاد تجهيزاً اقتصادياً شاملاً . وإني أختصر شروط المهاجرين في خمسة :

١ — حل مشكلة النقد حلاً نهائياً بإنشاء مصرف قومي يكون فيه الذئب أساساً .

٢ — تحرير وحماية الموارد الحيوية — الزراعية والصناعية — كالحرير والتبغ والفاكهة .

٣ — عقد معاهدات تجارية على أساس التبادل مع كل الدول ذات العلاقة الاقتصادية مع بلادنا بدون استثناء .

٤ — إيجاد الأمن بكل معانيه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .  
٥ — إعلان حرية الأحوال الشخصية وتطبيق الأنظمة المدنية المتبعة في البلدان الراقية .

٦ — إشراك المغتربين في الانتجابات النيابية كي يشعروا أنهم هم أيضاً مسؤولون عن الأوضاع السياسية في البلاد .

على المهاجرين أن يشعروا بمسؤولية إنهاض لبنان وتحريره كما لو كانوا مقيمين في لبنان . إلى الآن كان اللبنانيون في مهاجرهم منقسمين على بعضهم أكثر من المقيمين في لبنان ولم يتمكنوا من القيام بعمل موحد يوجه لبنان المقيم توجيهاً صحيحاً . إلى الآن لم يجدوا طريقهم اللبنانية الصحيحة .

من الضروري أن يشعر اللبناني المهاجر أن واجبه القومي يقضى عليه بأن يضحي مغنياً ومادياً في سبيل إنشاء وضع لبناني يصلح للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يتطلبها . يعلم المهاجر اللبناني خصوصاً المقيم في بيئات لا تصلح لانفهاره فيها ، أن واجبه نحو أولاده وأحفاده يتطلب هذه التضحية . فكما أنه يعمل ليوفر لأولاده ثروة مالية كذلك يجب عليه أن يعمل ليوفر لهم تراثاً وطنياً .

إن نهضة لبنان الجديدة بل إن تجديد حياة لبنان بكل معانيها سيقوم على مدى التعاون الذي يمكن أن نوجده بين لبنان المغترب وبين لبنان المقيم ، بين إمكانيات الوضع الجديد في لبنان واندفاع المغتربين لتقوية تلك الإمكانيات . فلنوحّد كلمتنا في مهاجرنا ولنشجع لبنان الجديد على تأمين شروطنا .

لبنان المقيم لن ينهض إلا بعجز وضعف ، ولبنان المغترب لن يعيش إلا بألم مر ، فلنعمل لإيجاد تفاعل بين هذين اللبنانيين لإيجاد دورة

فكرية وقومية وروحية واحدة تقطع الأبعاد والمسافات دون أن تقف حيويتها . وهذه الدورة الفكرية والقومية والروحية الموحدة ستكون أساس حياتنا الجديدة .

وكم يحسن أن تكون مصر الشقيقة ، مصر المضياف ، مصر وعلى رأسها الملك الشاب ، الملك المجدد صور الحياة وأشكالها الراقية ، كم يحسن أن تكون مصر المتوجة بالقوة الفتية مركز نشاط المهاجرين اللبنانيين ، والسوريين عامة ، لمساعدة أوضاع وطنهم الجديدة ولخلق صلة الوصل المتينة بين المقيمين والمغتربين .

## الشباب اللبناني والوطن<sup>(١)</sup>

... واندثر عهد « الدولة العلية » و « عهد السلاطين » مع فجر هذا القرن الحافل بالتطورات المجددة .

وتوارى شبح العثمانيين عن لبنان ، تخرج اللبنانيون من كابوس قرون مظلمة حولتهم إلى أميين في فكرهم ولسانهم ، وابتدائيين في وجدانهم القومي وشعورهم الوطني .

وأخذت تعابير الضعف والاستسلام : « الأرض للسلطان ، والطريق للسلطان ، والسماء للسلطان ، والمياه للسلطان » ، أخذت كل هذه التعابير المنبثقة من عهد الانحطاط الطويل تقع على الأذان وقع المطارق . إذ أن اللبناني ، طوال أجيال التقهر ، فقد إدراكه القومي الواعي ، ولكنه لم يفقد شعوره الوطني الفطري المنحدر في إحساسه من آلاف السنين السحيقة . بدأ الشعب يشعر ، من جديد ، أن ما كان للسلطان يجب أن يصير ملكاً وتراثاً للبنانيين . هنا بدأت فكرة الوطن تتجسد من جديد في أحشاء الفكر اللبناني والقلب اللبناني ؛ والفكر المتقدم والقلب الشاعر هما دائماً وأبداً : الشباب .

ولكن الوطن في ذلك الحين كان شيئاً مهماً غامضاً ، يلتبس بغيره من

---

(١) استكثبت مجلة « الجديد » ، بعض الأدباء اللبنانيين سلسلة مقالات في مواضيع عامة متنوعة . وقد طلبت من المؤلف كتابة هذا المقال ونشرته في العدد ١٢٦ .

الاشياء القومية العارضة أو الثانوية البسيطة : فالتخلص من العثمانيين ، وحماية أوروبية ، وانعزال خائف عن كل سياسة سورية أو عربية بصورة عامة ، ونظام ديموقراطى جمهورى لا يعرف عنه اللبنانيون إلا ما تعلوه سطوحيا فى المكتب وقرأوه فى القصص ؛ وسيطرة مسيحية فى لبنان كبير نصفه غير مسيحي ، وهنيئا لمن له مرقد عزرة فى لبنان ! كل هذه الافكار والصور المبعثرة والمتناثرة كانت فوضى فى رؤوس اللبنانيين ، لانهم لم يكونوا يدركون بعد ما هى الاسس الحقيقية لبناء وطن ولتو شعب .

لم تسكن فى لبنان العناصر القديمة ذات الاختبار والاخلاص ، ولا العناصر الفتية ذات الابتكار والطموح والتوثب ؛ لم يكن كل ذلك موجوداً لانشاء آلة الدولة المؤهلة لتوجيه الشعب ، فيبدأ بتكوين النخبة الضرورية لنهضته وتقدمه وبقائه .

لم يكن فى لبنان ذلك الشعب المنتظر أن يكون . شعب يحمل فى حضارته خلاصات لمعظم الحضارات العالمية . بل كانت هناك جماعة لبنانية ابتدائية تحب وطنها بالفطرة حبا وطينا سطوحيا ، ينبثق من المناظر الجميلة والذكريات العائلية المتوارثة ، لا حبا قوميا واعيا مدركا : يضم الانسان إلى الارض وخيراتها فيمتص عناصرها كما يمتص الطفل عناصر الحياة من صدر أمه .

لم يكن للبنانيين إذن أية صورة كاملة عن الوطن ، ولا أية عاطفة واضحة نحو الوطن .

لذلك رأينا اللبنانيين بعد الحرب الكبرى ، بعد خلاص وطنهم من الاتراك ، يندفعون فى بحار الهجرة والنزوح قوافل قوافل ، تعد بالملات والالوف ، تاركين وطنهم وأهلهم ، غير آسفين على شيء ثمين ! . . ولم تسع السلطات خلال جيل كامل لا يقاف هذه الهجرة الجنونية ، الجاهلة

اليائسة ، بوسائل سلبية أو إيجابية ، كأنه من الطبيعي أن يكون لبنان منبتاً أو مشتلاً للمهاجرين ! وكأن مهمة السلطات كانت تسهيل نزوح الشعب عن وطنه ليتشرد في العالم مستعظياً ، مضطهداً : هناك معنواً وهناك مادياً ، مقاسياً أشد الآلام .

الوطن إذن جنين يرتعش في فسكر الشباب اللبناني منذ الحرب الكبرى الماضية . أما حان له أن يولد ؟ أقضى عليه أن يبقى في قالب الاحتماء إلى أن يجفض به ؟ وإذا كان هذا الجنين اكتمل وآن له أن يرى الشمس بعين الفسور ، ويثبت للحياة ثبات الرواسي ، أ يظهر للحياة في قالب ؟ أم طليقاً للنمو والتطور ؟

أليس هذا ما يمكن أن يتسامل له شباب لبنان ، المندفع في عواطفه الوطنية المخلصة ، والتائه بين مصالح قومية لم يفسح له المجال لادرالك حقيقتها ، وبين سياسة تقليدية خائفة ؟

ظلت هذه الفكرة المتسائلة تعمل زمناً طويلاً في ضمير الشباب المستنهض حيويته عاماً بعد عام ، دون أن توصلها الايام والاعوام إلى جواب صريح .

ولقد كان مفروضاً في المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والسياسية أن تساعد لتبلور فكرة الوطن عند النشء الجديد ، ولكن هذه المؤسسات قصرت تقصيراً فاضحاً في القيام بهذا الواجب الرئيسي : فالمدارس كانت وما تزال بعدد كبير منها ، تقوم بدعاية غريبة مستهجنة للوظيفة والهجرة ، كأن الهجرة صناعة قومية يجب ألا تموت بل أن يربي حبها مع الاحداث . والصحافة عموماً لم تسكن يوماً تعالج المسائل من أسبابها إلى نتائجها ، بل تنقسم إلى فرق تمدح وفرق تهجو ، تعليقا على الحوادث الجارية .

والاحزاب التي نشأت ملونة بألوان الطوائف لم تكن إلا لتتبنى فكرة الجماعات الطائفية المنعزلة ، أو المهاجمة مهاجمة اعتبارية لا تقوم على العدل الاجتماعي الذي يساوي الجميع في الحقوق والواجبات .

اما الدولة فلم تكن إلا إدارة تصرف أشغال الطوائف والعائلات والمحاسيب . . وتنقل أشكال الانظمة السياسية الغربية إلى لبنان وتطبقها تطبيقاً مشوهاً ، مهملة الشعب وتثقيفه وتوجيهه ليتفهم معنى الوطن وقيمه المادية والمعنوية .

لم يكن في لبنان ، لا في توجيه المؤسسات ولا في إنتاج الافراد ، ما يبشر بتطور في تبلور صورة الوطن الحقيقية ، ولكن العالم بأحداثه وتجاربه هو المعلم الأكبر والموجه الاصدق لكل الشعوب . أليست الحضارة الحاضرة مجموعة من تبادل وتفاعل الافكار والاحداث والتجارب العالمية ؟

وقفت شعوب المهاجر اللبنانية ، بشعورها القومي الحاد وأنانيتها المتطرفة ، تصد اللبنانيين المنازيع عن أوطانها . ومن كانوا قد دخلوا تلك المهاجر عاشوا غرباء ينظر إليهم نظرة فيها كثير من معاني الكبرياء والاحتقار لمن يشعر ويفهم ، فاضطر اللبنانيون أن يدافعوا عن كيانهم المعنوي والمادي بوسائل مالية ونفوذ شخصي لا يعيشان إلا فترة قصيرة . بدأ اللبنانيون في منافعهم المتراكمية يشعرون بقيمة « الوطن — الام ، وبأهمية الانتماء إلى أمة ذات سيادة قومية محترمة في العالم ؛ وأدركوا أن المرء ، مهما صار غنياً وعالمياً ؛ يبقى ضعيفاً ذليلاً ما لم تحميه أمة ذات سيادة قومية .

وتحول اللبنانيون عن الاقطار ذات الشعوب المتمدنة إلى مجاهل العالم

وأدغالها الهائلة ، فاجتاح تيارهم الهارب ، المستميت في سبيل المحافظة على مستوى رفيع من الحياة ، مناطق أفريقيا المعروفة والمجهولة ، ومناطق أوسيانيا وغيرها من المنافي الخيفة .

أما في لبنان فلم تكن الحالة أحسن من المهاجر ، بل كانت تنازعا بين أفراد الشعب على ضروريات العيش الملحة ، وفوضى في التفكير من كل نواحيه ؛ بل تمتع اتخذت شكلا جديداً ، لعهد سابق طويل ! .

في هذه الفوضى اللبنانية ، بل في هذا الجحيم الذي تحترق فيه بقايا الحيوية الضائعة في شعبنا ، كانت فكرة الوطن تتكون وتتمو عند الشباب اللبناني الجديد .

بدأت تتكون بمعزل عن كل الهيئات الراهنة والمؤسسات الجامدة ، العائشة بقوة الاستمرار العمياء ، بدأت في أساسها التحقيق : في ضمير الشعب المستيقظ ؛ المفتش عن حقوقه ومصالحه ، والشعب تمثله نخبة الشباب .

والفرق كان كبيراً بين الجنين الجديد ، المرتعش بالحياة في أحشاء أمه ، يمتص عناصرها امتصاصاً ، وينمو بقوتها وحبها وخصائصها ، بين الوطن القائم على خيرات الارض وسخائها ونشاط الانسان وحبه ، وبين فكرة سياسية تقليدية هرمة ، جامدة ، قائمة على انعزال الجزيرة المسيحية ، المميت ..

هكذا مر جيل كامل والجنين ينمو ولا يولد ، والفكرة الهرمة تنازع ولا تموت !

جيل كانت أواخره معركة فكرية طاحنة بين شعب ناهض ، بدأ أخيراً يدفع بالمفكرين المصلحين كي لا يموت ، وبين ذوى المصالح الشخصية والعائلية والاقليمية والطائفية ؛ وقد وصلت هذه المعركة الآن إلى أن

المبادرة غدت في أيدي الشباب المهاجم ، المحاول منذ سنوات تقويض الحالة الراهنة القائمة على المؤسسات والشخصيات الرجعية العتيقة .

ولكن ما هي فكرة الوطن التي دارت من أجل إثباتها معركة شعبية لم تلتها بعد ؟

فكرة الوطن عند الفئة الضعيفة ، الخائفة ، كانت مزيجاً من الجهل والنفعية والضعف والجنود في قوالب فكرية متوارثة ، راهنة ، مجردة من كل ثقة بالنفس وكل اعتماد على الذات . فالوطن في نظرها كان انعزالاً لبنانياً يسعى ليجعل من البغض والخوف والاستسلام حدوداً تجعله جزيرة وهمية ، تعيش عيشة شاذة ، لا يمكن أن تؤدي إلا إلى انقراض تدريجي بالمهاجرة وبانحطاط مستوى الحياة .

بل الوطن في إدراكها هو نوع من المعتقلات الرحبة ، المؤبدة ، حيث لا خلاص للمرء منها إلا بالموت أو بالفرار إلى عالم بعيد ! والوطن في عريفها الجاهل هو كيان سياسي تقوم على إدارته أشكال سياسية معينة . وقد وهموا ، وهم أطفال في علم سياسة الدولة والمصالح القومية ، أن الأشكال السياسية هي التي تصون مصالح الشعب وتدبر شؤونه ، لا الرجال المؤهلون بمناقبتهم ومواهبهم العقلية النادرة .

« وقد اعترى بعض اللبنانيين ، بدعاية هذه الفئة الضعيفة الخائفة ، نوع من الجنون الغريب ، هو من نوع ذلك الجنون الذي كان يعتقد أنه حبة قمح وأن الدجاجة تريد أكله . »

أجل ، إن تلك الفئة قد حولت لبنان بجباله ومعاقله الطبيعية التي لا تقتحم ، وبشعبه الذي لم يكن لأربعمئة سنة من الاستعمار التركي الجائر ، نعم هذا اللبنا الأسم ، المنتصب كأنة الرأس المفكر والصدر الحامي

اسوريا ولشبه الجزيرة العربية ، كل هذا اللبّان قد تحول إلى قمحة تخاف  
أن تأكلها الدجاجة ! ..

أيمكن أن تنمو فكرة الوطن وتتجسد بين تيارات فكرية مريضة  
ومعدية كالتى كانت تتجاذب اللبنانيين ؟

نعم ! إذا كان الشعب لبنانياً يتوارث العبقريّة من أقدم العصور !  
إنها قد نمت وتطورت ، وهى الآن تنبليج كأنها الصبح المنفجر من  
ظلمات ليل حالكة .

لا شك أن ولادة الوطن الحقيقي عند اللبنانيين كانت من أصعب  
الولادات وأطولها وأوجعها . بل كانت اعجوبة خارقة الطبيعة بعد قرون  
العقم العديدة .

إن الأرض الصخرية الجرداء والحزون القاحلة الشحيحة ، التى كان  
يحباها اللبناني الفلق حب عاشق مخلص لمعشوقة مريضة تسير إلى حتفها ،  
تتحول الآن إلى بقاع خصبة ورياض جميلة ! ..

أجل إن الفكر اللبناني قد ولد الوطن ولادة جديدة ، فأدرك الشباب  
اللبناني أخيراً أن وطنه ليس أرضاً جامدة ، بل هو فكرة طموح تحيا في  
حالة تفاعلية بين حيوية شعب وموارد أرض سخية . ومتى ثحت حيوية  
الشعب وأجدبت موارد الأرض ، نتيجة لذلك الشح ، أمسى الوطن ، كما  
كان عندنا ، جثة ميتة ، مهما تكن حبيبة ، لا تنفخ إلا بعطور الموت  
ولا توحى غير صور الفناء .

إن وطن الشباب اللبناني هو نوع جديد من الحيوية اللبنانية التى  
لم تنضجها سنو الانحطاط الطويلة . وهو انطلاق تاريخي مدهش من هذه  
الأوكر الفسرية الشاحخة التى لم يطلها زحف الحشرات ، ولم تصفق قربها  
أجنحة دجاج لا تطير !

إن فكرة لبنان الجديد تقول : ليس الوطن أوضاعاً وأشكالا سياسية، بل هو أرض وشعب ، بل هو موارد ومرافق حيوية يمتصها الشعب كلها لنموه وتطوره واكتمال قوته المعنوية والمادية .

بل الوطن هو الطموح المخزون في شعب عبقرى ، ينمو مع الزمن والظروف . فاذا أرغم انعكف على نفسه ضمن إمارة ، أو تضائل في متصرفية صغيرة ؛ وإن ترك حراً تركز في استقلاله السياسى وأطلق نشاطه الاقتصادى والثقافى إلى آفاق تتفق وطموحه ومواهبه المتفوقة : متعاوناً مع الشعوب العربية الشقيقة في سيرها المشترك نحو السيادة القومية التامة. إن الشباب اللبنانى يريد استقلال لبنان ويدافع عنه لضرورة اجتماعية راهنة ، ولكنه قد تعلم الآن كيف يأتى عملياً أن يكون الاستقلال مقبرة لطموح اللبنانيين القومى ، أو قالباً يوقف نموهم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، أو منعزلاً يعقم نشاطهم الفاعل ، فيمسون مع الزمن اقزاما عقرأ يؤلون إلى الفناء .

لن يكون الشباب اللبنانى بعد اليوم وثنيّاً فى معبد الوطن يؤله الأصنام ويقدس الطقوس الجامدة ! لن يكون شعماً ينام على صدر أرض لا يؤمن بكرمها وسخائها . . .

لأن الوطن فى إدراك هذا الشباب هو رسالة الشعب العائش فى حضنه. وكل رسالة تتحول إلى أصنام بلهائم وطقوس متحجرة تدخل فى طور الانحطاط ، فالانحلال فالزوال .

( الوطن قبل كل شئ ، هو فكرة حية تنمو ، وتثمر ، وتغذى ، وتحبى ، وتدفع إلى الامام ، إلى السمو ، إلى تحقيق مثل الشعب المتسامية أبداً إلى

العلام . وهذه الفكرة هي جسم وروح : هي الأرض الفاتحة صدرها ونهودها حيوية الإنسان الجائعة ، وهي طموح لا يقف ولا يثنى عن النمو والتوسع . وإذا تحجرت هذه الفكرة ضمن أرض جامدة كما تتحجر رسالات الأديان في الهياكل ، آل بها ذلك إلى الجمود ، فالنضوب ، فالموت ! والوطن لا تكونه عوامل سلبية طارئة ، ولا يقوم على عناصر اصطناعية قابلة الزوال ، ولا يمكن أن يعيش على الخوف والشك . أما حدوده فتقررها الأزمنة بعد أن تكون حيوية الشعوب جعلتها أمراً واقعياً ، لذلك يمكن القول أن الوطن هو قوى الحياة البشرية التي تدب عليه ، وهذه القوى هي التي تقرر مصيرها ومصير بوتقتها بطريقة طبيعية تطورية .

إن وطن الانعزال الخائق قد انتهى عهده عند الشباب اللبناني ، واللبنانيون من داخل استقلالهم الإيجابي ، القوى ، المخلص ، سيشعرون أن التعاون مع سوريا هو ضروري لحياتهم ومدى نشاطهم ، وأن الأوطان التي يعمرهم في المهاجر النائية يجب أن يعمروها حيث لا يشعرون أنهم غرباء ، بل في ديارهم .

وفكرة الوطن القفص ، الفاتح أبوابه وشبابه إلى البحر ، يهرب منها أبناءه ، والمقيم أسوار الخوف والشك على جهات ثلاث ، قد أحدث مع العهد البائد .

فلبنان الجديد سيسد كل منافذ البحر القديمة ، وسيقيم المعازل على شواطئه ، وسيفتح قلبه وتخومه لدورة الحياة الطبيعية بينه وبين أشقائه ، ولن يؤثر موقفه هذا على استقلاله ، ولكنه بالعكس سيوقف تيار المؤامرات التي قد تحاك ضده من الداخل والخارج .

## الوضع اللبناني الجديد<sup>(١)</sup>

«... سياسياً يمكن أن يحرر الشعب» بالجملة ، أما  
فكرياً فلا يمكن أن يحرر إلا فرداً فرداً...»

معالي وزير لبنان المفوض !

أيها الحفل اللبناني الكريم !

حفلة لبنانية ، وطنية ، تحت رعاية وزير لبناني مفوض .

ظاهرة جديدة في حياتنا السياسية القومية !

قوانا اللبنانية تبعثر في أنحاء العالم منذ نحو عقود سبعة ، هاربة من  
الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة في الوطن ، مفتشة  
عن بيئات حرة تصلح للحياة !

ولسكن الأنظمة المراهقة في الوطن كانت تلحق بالمهاجرين لترهقهم  
في مهاجرهم أيضاً !

فالبنايون كانوا مضطرين دفاعاً عن جزء يسير من حقوقهم ومصالحهم ،  
أن يلجأوا إلى ممثلي الدولة العثمانية قديماً والدولة المنتدبة حديثاً !  
وكان في ذلك اللجوء الاضطراري ألم نفسي موجه لا يتخلص منه  
اللبناني إلا إذا تنازل عن جنسيته وتبنى جنسية جديدة !

أجل ، إن لهذه الظاهرة اللبنانية الجديدة معاني هي أعمق من الرموز

---

(١) الخطاب الذي أرتجله المؤلف في البطر كنانة المارونية في القاهرة في الحفلة التي أقيمت

بمناسبة عيد مار مارون في ٩ فبراير سنة ١٩٤٦

والاشكال ، كما قد يتوهم البعض . إن لهذه الظاهرة السياسية القومية قوة  
تجديدية عظيمة .

فالخراف التائهة منذ عقود سبعة في صحراء الخوف والالوهام والغموض  
بدأت تلمح طرق الخلاص .

والقوى اللبنانية العظيمة التي كانت تتجاذبها عوامل اليأس ، والتفريق ،  
والخوف واللجوء إلى قوى أجنبية تحتمى بظلمها الغريب ، المخيف ، النفعي ،  
ها هي الآن تجد ظل الام على طفلها والاب على ولده .

الافكار والالوهام التي كانت تقلق اللبنانيين المغتربين على مصيرهم  
وتحول نفسياتهم إلى نفسية يهودية تريد أن تحمي نفسها بالفلس والاحتيايل  
على الدهر ، ها هي تتبدد شيئاً فشيئاً ، فيرجع اللبناني إلى نفسيته الصحيحة :  
إلى الصراحة الجسورة ، إلى الشجاعة المغامرة ، إلى أنفته التي اتخذت  
مستوى شموخها من شموخ جبالها العالية .

هذا عهد الزفير واليقظة : إني أرى اللبنانيين المشتتين في أقاصي العالم  
يستجمعون قواهم ويتحفزون للنهوض بما بق فيهم من حيوية . وإني أسمعهم  
يتنادون بأن قد دقت سماعتهم ليلذبوا الماضي الضعيف ، المستسلم ، ويبدأوا  
ببناء المستقبل القوى المعتمد على ذاته .

قد يتساءل المرء : وكيف تمكن هؤلاء اللبنانيون المجردون من كل  
مرجع قومي ، والعائشون بآمن بين الشعوب ، أن يحتفظوا بجزء كبير من  
حيويتهم القومية ، وتقاليدهم الراقية خلال سبعة عقود من الاغتراب  
والتششت ؟ وعلى ذلك أجيب :

أنه كما يوجد في الوطن معاقل وحصون يحتمى فيها الشعب في المعارك  
الفاصلة ويدافع فيها عن كيانه إلى آخر رجل أو إلى أن تصله نجدة ، كذلك

بين الشعب ، في مراحل انحطاطه ، شخصيات منيعة ، عاصية على القوى الهدامة ، وعلى كل العوامل المخربة ، هي شخصيات تكون معاقل وحصونا اجتماعية يحتوى الشعب بها في مراحل الانحطاطية الصعبة . وإذا كنت لا أعدد هذه الشخصيات الحصون فلا تثنى لا أعرفها كلها ولا أريد أن أعدد بعضها وأترك البعض الآخر .

أيها الحفل الكريم !

(أ) أهم شيء في مستقبل عهدنا الحاضر هو أن نفهم أنفسنا ، وأن ندرك حسناتنا وسيئاتنا . (فأنا أرى المجتمع اللبناني منقسما إلى فئتين :

(أ) فئة أظن أن لبنان استقل فانتهدت كل المهمات الوطنية ، وليس عليها إلا أن تتمتع بخيرات الاستقلال .

(ب) وفئة تعتقد أننا شعب ضعيف لا يصلح أن يعيش إلا على هامش دولة كبرى .

من المؤسف أن يكون شعبنا ما يزال في هذا الطور الابتدائي من التفكير الاصلاحى . ومن المؤسف أيضا أن لا نفرق بين الشكل والجوهر .

فالفتان تجعلان تمام الجهل حقيقة حالنا ، والمجتمع الذى يحمل نفسه هو مجتمع معرض في كل ساعة إلى الانهيار من جديد تحت ضغط مفتعل ، أو تحت تأثير دعايات مغرضة .

لذلك فاني إجلأ لهذا الوضع الجديد الذى ما يزال غامضا ومعرضا للتيارات الفكرية المتناقضة ، أقول للفئة الاولى المتسعة كى تتمتع وتستثمر : إن نخامة رئيسنا الجليل ومعاونيه ، بمساعدة فئة واعية من الشعب ومن النخبة الناهضة ، قد ارتجلوا هذا الاستقلال ارتجالا ، ذلك لانهم وجدوا ظرفا سياسيا عالميا قد لا يسنح في عشرات السنين .

ولكن هذا الاستقلال السياسى المرتجل ، أيها السادة ، ليس إلا قابلاً

يجب أن نصب فيه كل قوى فكرنا المتحرر وكل أبداعنا في التنظيم  
الاستقلالي الصحيح .

هذا الاستقلال السياسي المرتجل ليس إلا رخصة للشعب اللبناني  
ببناء استقلاله ، فأين الفعلة ، وأين البناؤون ، وأين المهندسون الاجتماعيون  
والسياسيون ؟ .

إن الوضع اللبناني الجديد لم يستهدف إلا تحرير لبنان سياسياً ، ورجال  
هذا العهد ما يزالون يعملون لاستكمال أركان هذا الاستقلال السياسي ،  
ولكن هناك مهمة أصعب بكثير ، وعملية أدق وأطول : ألا وهي تحرير  
الشعب اللبناني فكرياً وروحياً من الأمراض المزمنة التي تفتك به منذ عقود .  
ومسؤولية هذا التحرير لا تقع على الحكومة فقط بل على كل المؤسسات  
الاجتماعية والثقافية والسياسية ، بل على كل فرد واع من الشعب . فهل  
يشعر كل منكم بهذه المسؤولية الملقة على وجدانه القومي ؟ .

سياسياً يمكن أن يحرر الشعب « بالجملة » أما فكرياً فلا يمكن أن يحرر  
إلا فرداً فرداً .

أن عملية التحرر القومي تحدث بالطريقة التي تحدث فيها عملية الاستعمار  
والاستعباد : يحتل المستعمر البلاد كلها بقوة جيوشه فيستعبد « بالجملة »  
أرضاً ، وشعباً ، ثم يبدأ بعملية دقيقة وطويلة وهي بناء قلع وحصون  
يتمركز فيها ، واستعباد أفراد أذكيا وذوى نفوذ كما أنهم مجردون من  
موهبة الشعور القومي مع الشعب ، ومن الشخصية الانية التي تنفر من  
الدنيا ولو مغمورة بالثروة والسلطان ! .

هذه خطة المستعمر ، أما خطة المتحرر والمحرر فهي أن ينتزع أرضه  
من المغتصب شبراً شبراً وشعبه من المستعبد فرداً فرداً .

ان نتحرر من ماضينا الضعيف قبل أن نعيد ثقة كل لبناني بنفسه  
و بمصيره إلى قلبه .

وما لم نرمم معالم الحياة في الوطن : فنجدد الحياة في مواردنا الحيوية  
الزراعية ، ونستثمر كل مرافقنا الحيوية ، ونعيد الشعب إلى صدر أمه  
يتمتع حيواتها ويتغذى وينمو ويقوى ويأبى مغادرتها كما يأبى الطفل الفطام ،  
مالم نقيم بكل ذلك لن نكون حررنا وطننا من العوامل الهدامة !  
إن الاستقلال السياسى غير المرتكز على مجتمع متحرر ، قوى ،  
مادياً ومعنوياً ، يسقط لأول صدمة .

أما الشعب المتحرر ، الواثق بنفسه ، المسيطر على موارد حياته ، فإن  
المستعمر يتعد عنه ، لأن عملية استعباده تكون خاسرة ، ومتعبة !..

\* \* \*

أما الفئة اليائسة ، الفاقدة كل ثقة بنفسها وبشعبها فاني أجيها :  
قد يحوز لكل شعب في العالم أن يفقد ثقته بنفسه إلا شعبنا نحن الصغير :  
فانه قد برهن في مراحل تاريخه أن القوى الفكرية والروحية ، بعدد قليل  
من المواطنين المتفوقين والسباقين في الحضارة الانسانية ، تقدر أن تصمد  
لأقوى الزعازع وأن تقف في وجه أعظم القوى الجاحمة !  
لقد كان وطننا منذ القدم ملتقى التطاحن بين الشرق والغرب ، وكان  
شعبنا مختبر مدينيات الغرب والشرق ، بل كان دماغنا ، العريق في نشاطه ،  
بوثة تنصهر فيها كل المدينيات ، فتغذى شخصيتنا الاجتماعية دون أن تتمكن  
من القضاء عليها .

وفي أدق الحالات وأصعبها ، وقت كان الغرب اليزنطى في تضعضع  
وانهيار ، والشرق العربى الشقيق في أقوى انطلاقه وأجلى عبقريته ، لم  
السوريون الموارنة عناصر قواهم الفكرية والروحية من ميادين الصراع

الهائل بين الروم المقاتلين بتراجع، والعرب المهاجمين بانتصار، ودفعوا بتلك القوى إلى المعازل الحصينة، إلى جبال لبنان !

ولم تكن تلك الفئة، المتمحصنة في جبال لبنان لتحمي بقايلها ومعتقداتها، جامدة أو مترددة خائفة؛ فقد تنكرت للبين نظلي المستعمر وهو من دينها؛ ورفضت أن تكون آلة في يده ضد العربي الشقيق وهو من غير دينها؛ بل آخت العربي وعقدت معه المحالفات، ثم قبلت لغته واستعربت، ثم اختلطت بالعناصر العربية فأعطتها من حضارتها العريقة وأخذت من عزمها وبأسها؛ وهنا تم انصهار جديد في هذه البوتقة، وفي هذا الدماغ اللبناني العجيب بقابلية هضمه.

في كل هذه المراحل التي قطعها لبنان، من الفتح العربي إلى أواخر العهد العثماني الجائر، لم يطلب اللبنانيون نجدة غريب، ولا وصاية قوى ولا انتداب مستعمر!

ولم تبدأ حالة الانهيار في النفسية اللبنانية إلا بعد مؤامرة أوروبا وتركية على لبنان، تلك التي أدت إلى خلع آخر أمير لبناني شهابي رمز السيادة القومية.

وكل هذه الروحية الانهزامية اليائسة، القابلة بأن تكون حياتها على هامش حياة الشعوب الحرة، قد نشأت في عهد دولة القناصل، و دولة القائميتين، و دولة الانتداب الأخير، !

إن الذين يقولون أن لبنان القديم كان تحت ضغط إسلامي لم يقرأوا التاريخ ولا تبصروا فيه، بل تاريخ بلادهم كان الدعايات الاجنبية المغرضة. أريد أن أعلم في أي وقت من الاوقات كان لبنان في خطر من المسلمين، وتحت ضغط المسلمين؟! وأي متى، بعد أن تعاقد لبنان مع معاوية، جرب

المسلمون العرب أن يفتحوا لبنان أو يخضعوه لسلطانهم المباشر ؟  
وأى متى هاجم المسلمون السوريون لبنان ليقوموا بأهله ؟ أتقولون  
سنة الستين ، بين الموارنة والدروز ؟ إن سنة الستين هي وصمة عار على  
أوروبا لا على اللبنانيين .

إن سنة الستين كانت تمهيداً أوروبياً لانتزاع لبنان وبلاد الشام كلها  
من أيدي العثمانيين .

أى منطق يقبل بالتسليم بأن المسيحيين اللبنانيين كانوا تحت ضغط  
المسلمين فى الوقت الذى كان يضطر الأمراء الدروز والمسلمون أن يتنصروا  
كى يتمكنوا من حكم لبنان ؟ !

وتنصر الشهابيين والبعيين هو برهان ساطع على ذلك !

\*\*\*

أيها الحفل الكريم !

ها ان لبنان ، بعد أن قطع أقصى مراحل التاريخية التى دامت قرونا ، يظهر  
اليوم بوجهه الحقيقى : شقيق مخلص لهذه الشعوب العربية الناهضة بقوة  
وعزم . وها الشعوب العربية تصفق له وتشجعه بعد أن تنكرت له فى عهد  
ضعفه واستسلامه . وهذه الاقطار العربية لا تطلب من لبنان إلا أن يكون  
شقيقاً مخلصاً ، واقفاً معها سداً منيعاً فى وجه الاستعمار لصيانة مصالحه  
وحقوقه ، ومصالحها وحقوقها معاً .

هى ترى فيه شقيقاً عبقرياً تريد أن تقوى عبقريته فتستفيد منها ،  
وينتفع هو أيضاً .

أيها اللبنانيون !

لو كان لى سلطان على عواطف اللبنانيين لجمعتها كلها فى مصادرها

وعطلت كل تمنياتها الخاصة ، ودفعتم بقوة لتغمر هذا اللبنا الناهض  
بأعجوبة من تحت بلاطة ضريحه ، والممزق بقوة وشجاعة كل أكفانه !  
لو كان لى سيطرة على الغرائز البشرية لأوقفت رغباتها القاهرة وسلطت  
قوى الإنسان اللبناى كلها على عوامل الشر لتشفيا أو لتعقم أمراضها .  
لو كان لى سيطرة على مطامحك لحولتها كلها إلى مطمح واحد : وهو جمع  
قوانا المادية والروحية فى الوطن والمهاجر ودفعها لخلق شعب متحرر  
من كل القيود الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، شعب صالح لحياة  
متمدنة راقية !

إن الوضع اللبناى الجديد هو واسطة لبناء حياتنا الجديدة فيها إلى  
البناء أيها اللبنايون الحقيقيون !

## الحالة الراهنة الجامدة وقوة استمرارها

### صخرة في طريق لبنان<sup>(١)</sup>

تحديد الحالة الراهنة :

لاشك أن الموضوع غريب عن المواضيع التي نعالجها بصورة عامة . وما أعلنته لشخص إلا ورأيته حائراً ، يسائل نفسه عما عساه أن أقول في بحث كهذا ، كما رأيته مفكراً في ما يمكن أن يعنى هذا الموضوع الغريب . الحقيقة هي أنه لا يمكن أن يتبحر في مواضيع كهذه إلا من نزل ميدان الإصلاح الاجتماعى — السياسى واصطدم كل يوم بصخور « الحالة الراهنة » فشج رأسه مرات عديدة ؛ ثم جرب أن يوقف « قوة الاستمرار » ، فكان كمن يقف في طريق « صخر حطه السيل من عل » ، الحالة الراهنة هي الأوضاع الاجتماعية — السياسية القائمة في شعب من الشعوب .

هي معازل اجتماعية — سياسية استراتيجية ، تتمركز فيها كل القوى المحافظة المتمسكة بالبقاء كما هي .

« وقوة الاستمرار » على الحركة التي تسير بالعادة والتقليد . فقد تقف أحياناً كل القوى الدفاعية التي تسير نظاماً من الانظمة ، ولكن ذلك النظام يبقى سائراً زمناً طويلاً « بقوة الاستمرار » ، ولا يقف إلا إذا تكوّن نظام

---

(١) محاضرة أُلقيت في القاهرة .

آخر أقوى منه . هناك مثل لبناني بسيط يقول : « الحجر مطروحو قنطار » :  
أن نظاما فاسداً ، ثابتاً في محله ، تعود الناس أن يروا مظاهر قوته وبطشه ،  
يصعب عليهم ، إذا هو وصل إلى حالة وهن وضعف ، أن يدركوا تلك  
الحالة . وإذا أدركوها صعب عليهم أيضاً أن يهاجموها . لأن ذلك النظام  
مهما يكن خائراً وفاسداً ، فهو نظام قائم على كل حال ، وقد يبقى مدة  
طويلة سائراً بقوة الاستمرار .

وقوة الاستمرار سواء أكانت في حالة نافعة أم مضرة ، سواء أكانت  
سلبية أم إيجابية ، سواء أحفظت نظاما يجب أن يهدم ، أم أبقت نظاما  
يجب أن يستمر للمنفعة العامة ، فهي قوة عظيمة لا يستهان بها . ولا يثبت  
نظام في العالم إلا إذا رافقه الاستمرار أجيالا وقرونا .  
والحالة الراهنة وقوة استمرارها هي أنواع :

منها ما هو حي ومتطور ببطء ، ومرافق سير المدنية العامة ، وهذه  
حالة عادية موجودة عند أكثر شعوب العالم الحرة ، ولا يتناولها هذا  
البحث ، بل يعطى صورة اجمالية عنها ، لنقدر أن نرى الفرق بين حالة راهنة  
جامدة ، وأخرى حية ، متطورة ، تفعل فيها سنن الاجتماع فعلا طبيعياً .  
ومنها ما هو جامد منذ أجيال وقرون ، وهذا النوع هو موضوع  
هذه المحاضرة :

التطور والتجدد سنة اجتماعية :

إن الحياة الاجتماعية الانسانية تتجدد صورها وأشكالها ومعانيها بقوى  
فكرها وروحها المتفجرة دائماً من داخلها . فكما أن الحياة تتجدد في جسم  
الانسان الحي ، كذلك الحياة تتجدد في الجسم الاجتماعي الحي .

ولكن الجسم الاجتماعي مركب تركيباً دقيقاً من ملايين العناصر ،

ومسير تسييراً دقيقاً بملايين العوامل ، لذلك تكون عملية تجدد الحياة فيه عملية أصعب بكثير منها في جسم الفرد . ولهذا تحتم أن تسهر على تطور الجسم الاجتماعى أجهزة اجتماعية سياسية إذا هى اختلت فى تنظيمها ، وتوافقها وتجانسها وتوجيهها ، للقيام باعباء مسؤولياتها ، وقف الجسم الاجتماعى عن التطور والتجدد فآل إلى الجمود ، فالتحجر .

من سنن المجتمعات البشرية إذن أن تكون فى تطور دائم وتجدد مستمر :  
تدفع الاجيالُ الاجيالُ ،  
وتهضم الافكار الافكار ،  
وتحل العقائد محل العقائد ،  
وتتغلب التقاليد على التقاليد ،  
وتمشى المدنية فى تقدم مطرد ،  
نحو مثلها العليا الإنسانية الراقية .  
هذه سنة المجتمعات السائرة سيراً طبيعياً :  
تسيطر على أرضها فتستدر مؤونة عيشها ،  
وتسيطر على فكرها وروحها فتستوحى غذاء حياتها .  
وهذا التطور الدائم من جيل إلى جيل ،  
بل من عام إلى عام ،  
بل من برهة إلى برهة ،

لا يفسح المجال لتحجر العادات والتقاليد والعقائد ، لتسمى أخيراً طقوساً  
وثنية جامدة ، لا يحط بها إلا نشوء مدرسة إصلاحية جديدة ، نائرة !  
أما إذا أملت بالاجتماع كوارث جاحمة ، ومصائب أليمة ، جمده أجيالا  
وقروناً فى أفكاره وتقاليده وعاداته ومعتقداته واختباراته واكتشافاته ،

ثم ولد المجتمع العبقري جيلاً جديداً يريد أن يحرك ، من جديد ،  
دولاب التطور ليبدل صور الحياة وأشكالها ومعانيها العتيقة فهناك المصاعب ،  
وهناك التطاحن ،

وهناك العراك بين مذهبين :

مذهب « الحالة الراهنة » ، و « قوة استمرارها » ، ومذهب المجددين !  
إن هذه المرحلة من العراك الداخلي عند الشعوب المتقدمة هي أصعب  
المراحل وأدقها في تاريخها ، بل هي مراحل فاصلة بين الحياة أو الموت :  
قد يكمن الموت في طفرة المذهب الجديد وانتصاره على القديم ، كما أنه قد  
يكون سر النهضة في محافظة المذهب العتيق وتمسكه من الاستمرار ، مدركاً  
كيف يأخذ دماً فتياً من المذهب الجديد ليتجدد .

يقول الكاتب الاجتماعي الكبير Gustave le Bon في كتابه  
« الحضارات الأولى » :

« إن الشعوب لا تحيا إلا بشرط احترام عاداتها وتقاليدها وهكذا ،  
ولا تتقدم إلا بشرط معرفة التخلص — في الوقت الموافق — من  
من نير هذه العادات والتقاليد إذا صارت عديمة الجدوى أو ضارة .  
« وما أصعب حل هذه المشكلة التي يظهر للقارىء تناقض وجهيها ،  
« فإنها من أصعب المشاكل التي تتطلب الحل .  
والتاريخ مملوء بأنقاض الأمم التي زالت لأنها لم تعرف كيفية الوصول  
إلى هذا الحل .

« إننا نرى عند درس مختلف مراحل الحضارة أن لدرجة قابلية  
الشعب للتفكير أكبر أثر في حياته . فإذا ضعفت هذه الدرجة منعت كل  
تقدم وحكمت عليه بالزوال أمام الشعوب التي تعرف أن تتقدم .

وإذا زادت عن الحد أفقدته كل تآلف وتماسك وأوردته الهلاك ،  
لاأظن أن هناك نظرية اجتماعية فلسفية أدق وأصح من هذه النظرية ،  
وأنعتقد أنها أحسن نظرية يمكننا على أساسها أن ندرس حالتنا الراهنة  
ونقرر إذا كان يجب تقويضها أم المحافظة عليها !  
حالتنا الراهنة نتيجة أجيال الالمحطاط :

ألا تسلمون معى بأن لبنان طيلة أربعة قرون من السيطرة العثمانية  
كان منعزلاً عن تطور المدنية العالمية من الناحيتين الاجتماعية والقومية ،  
وبمجداً فى قوالب أفكاره وعاداته وتقاليده ، ومعرضاً لتقبل كل الأوهام  
والخرافات السياسية ، شأن الضعيف المنعزل عن حقائق الأمور يتأثر  
بكل العوامل ، سواء أكانت قوية أم ضعيفة ، سلبية أم إيجابية ؟  
ثم ألا تسلمون معى أيضاً بأن لبنان كان خاضعاً ، فى الجيل الأخير ،  
لنظام استعماري مخيف بتهظيمه ، جرب بكل الوسائل الثقافية والاقتصادية  
والسياسية أن يقضى على اللبنانيين كشعب متمدن ، ذى شخصية تاريخية  
خاصة ، وان يحوله نهائياً إلى جماعة بشرية ضعيفة ، مفككة ، مشوهة فى  
عناصر تكوينها ، لا حياة لها إلا فى حماية دولة غريبة قوية ؟ !

إذا سلمتم معى بكل ذلك ، فأنى أسألكم : أية حالة راهنة ، تريدون  
أن ينتج عن أربعة قرون من الجود العثماني الملتف على لبنان كالأفعوان  
المجرم ، وعن جيل أخير من التخريب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي  
لحيوية شعب صغير ؟ !

من يمثل الشعب ؟ :

الشعب تمثله مؤسسات اجتماعية وسياسية ، وشخصيات فذة ، قوية ،  
وانتاج فكرى وروحى صحيح ، منبثق من أعماق نفسيته ! فهل بقيت

مؤسسات بعد طغيان العثمانيين وجورهم ؟ وهل نشأت مؤسسات في عهد الانتداب واستبداده ؟

وإذا كانت المؤسسات كلها تزعزعت فهل يعقل أن تكون بقيت شخصيات سليمة ؟ أما الانتاج الفكري والروحي فهو أبعد ما يكون عن الوجود : لأن شعباً يضطر أن يكدح طوال أجيال وقرون ليحصل قوته بالسكد والضنك ليحافظ على حياته ، أن شعباً يجبر أن يكذب ويحتال ويراوغ ويمالق ويخاتل كي يرد يد الظالم عنه .

أن شعباً وجد في حالة كهذه زمناً طويلاً لا يمكنه أن يعطى أى إنتاج فكري وروحي صحيح ! ...

من المفروض في المؤسسات والشخصيات التي تمثل الشعب أن يكون الشعب معين قواها القومية دائماً ، وأن يكون الشعب المصدر المعنوي الذي يرفع شخصياته الفذة ، والمصدر الوحيد لكل نفوذ تمارسه مؤسساته وقد تمر الشعوب المتمدنة في أطوار انحطاطية ضعيفة ، ولكنها لا تضيئها في جوهرها إذا بقيت المؤسسات والشخصيات القومية تستدر حيوية الشعب لتتغذى ، وتحافظ على اتصالها القومي المتين بذلك الشعب . أما إذا انقطعت أوصال العلاقات بين الشعب ومثليه ، وبدأت المؤسسات والشخصيات ، محافظة على كيائها ونفوذها الشخصي ، تتسول قوتها وزعامتها من مصادر غريبة عن شخصية الشعب وإرادته ، إذ ذاك يبدأ التفكك الاجتماعي القومي المريع !

إذ ذاك يبدأ تسيير تلك المؤسسات والشخصيات طبقاً لارادات تتنافى مصالحها حتماً مع مصالح الشعب القومية ، وحينئذ تنشأ «حالة راهنة» هي من أخطر وأفظع ما يمكن أن يحدث عند شعب متمدن خائنه الأقدار فاستضعف ! ...

فقدان الزعامة الشعبية هو سبب هدام :

هذه هي الحالة الراهنة التي تسكّونت في لبنان بعد نفي الأمير بشير الشهابي الكبير رمز الزعامة القوية وبعد تقويض الامارة اللبنانية بمؤامرة تركية — أوروبية !

فان الشعب انقسم إلى معسكرين ، وتجزأت الزعامة وأمسّت فوضى بين الامراء الثانويين والمقدمين والمشايخ ، حتى طمع أخيراً كل مختار قرية أن يكون زعيماً .

هذه الحالة التي نشأت في لبنان لم ينشأ لها مثيل في أى قطر من الاقطار العربية . فان لبنان ، رغم تقدمه الثقافى في الخمسين سنة الاخيرة ، استمر في الانهيار سياسياً وشعبياً حتى كاد يمحّد كل ماضيه القوي ويمسى من صعايلك الشعوب العفيلية الملتصقة بكيان الإنسانية ،

بينما نرى في مصر الشقيقة أن الزعامة تتطور تقدماً من عهد محمد على الكبير وابنه ابراهيم باشا مرعزع الامبراطورية العثمانية ، إلى المغفور له الملك فؤاد الاول رمز التجدد والنهضة المصرية الحديثة ، إلى حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ، الملك الشاب . قيلة أنظار الامم العربية ومكمل رسالة أبيه في التجديد والنهوض بمصر العظيمة .

إن فقدان الزعامة في لبنان هو الذى سبب تهقره السياسى رغم تقدمه العلمى . وإنه من سوء طالع سورية بدون شك أن لا يكون المغفور له الملك فيصل تمكن من تثبيت ملكه . لأن شعباً مفككاً هذا التفكك وغير قادر على النهوض مع زعيم شعبى جديد ، لا يضع حداً للفوضى فيه إلا النظام الملكى الثابت الذى يقود الشعب بتؤدة إلى الخير والفلاح .

## عناصر الحالة الراهنة في لبنان :

نستنتج مما تقدم أن «حالة راهنة» منحة نشأت في لبنان خلال عهدي العثمانيين والفرنسيين .

فما هي العناصر الرئيسية التي كوّنت هذه «الحالة الراهنة» ، التبعية ؟ إن أركان «الحالة الراهنة» في لبنان كانت في نظري ستة :

(١) الجهاز الإداري التركي المنحط الذي تحول إلى هيكل الدولة اللبنانية ،

(٢) المؤسسات الكليكية ونفوذها السياسي المكتسب بعد انهيار

الإمارة اللبنانية ،

(٣) المؤسسات التعليمية الأجنبية .

(٤) أكثر العائلات اللبنانية المتزعمة التي انحطت إلى استجداء نفوذها

من الأجنبي .

(٥) الشخصيات السياسية الضعيفة التي ظهرت بعد الحرب الكبرى

وهي ربيعة المستعمر ، جاء بها مع الحملة الاستعمارية أو ربّاه في لبنان تربية ذليلة خاصة ،

(٦) المفوضية الفرنسية ومؤسساتها الاستعمارية ، وهي كانت القيمة

والمدافعة عن «الحالة الراهنة» ،

تأخر النهضة القومية في لبنان وسورية :

كان ينتظر أن يحدث في لبنان وسورية بعد سنة ١٩١٨ ما حدث في بولونيا وفنلندا وتشيكوسلوفاكية وغيرها من الحركات التحريرية المنظمة ، بل كان ينتظر أن يحدث ذلك قبل دخول الحلفاء البلاد السورية لأن الجيوش التركية كانت خائرة ومضعفة ، والسلطات التركية كانت فقدت كل أمل بالنصر ، وكانت بدون شك مستعدة أن تقبل كل مساومة مع

قوة سورية — لبنانية منظمة . ولكن الوعي القوي كان مفقوداً والزعامة الحقيقية غير موجودة ، والاستقلال لم يكن إلا حلاً صيبانياً لا يرتكز على أساس . وأظن أن محاولة المغفور له الملك فيصل كان فيها كثير من الارتجال وحماس الشباب ، وقليل من التنظيم والتروي والدبلوماسية .

بلغ العقم في لبنان إلى أنه لم توجد هيئة علمانية مؤهلة أن تمثل لبنان في مؤتمر الصلح ، فاضطر شيخ الكيريكى في السبعين من عمره أن يتحمل مشاق السفر ليعرض قضية لبنان بقدر ما تسمح له معارفه السياسية البسيطة . أما الذين ساهموا في تشكيل هيكل الدولة اللبنانية فكانوا إما محامين درسوا في فرنسا وأتقنوا المرافعة باللغة الفرنسية والشغفة الاصطناعية ، وإما صحفيين جاءوا من المهجر لينالوا مكافأة على سبهم الأتراك في الحرب الكبرى وعلى خدماتهم للقناصل والسفراء الفرنسيين . وإما موظفين قدماء في لبنان ومصر ؛ ولم يكن بينهم من كان مؤهلاً للقيام بنهضة إصلاحية حقيقية .

آلت الحالة ، بعد استتباب النظام الانتدابي إلى أسوأ ما كانت عليه أيام العثمانيين :

« فالحالة الراهنة ، المنحطة تشكّلت تشكيلاً جديداً ، وعوضاً عن أن تقوم عليها دولة مهدمة ، مفسكة ، كالدولة العثمانية ، فقد قامت على حمايتها وتقويتها دولة غربية منظمة تنظيمًا حديثاً .

في لبنان لم يصطدم الوضع الجديد بأية مقاومة ، لأن لبنان كان غارقاً في أحلام انسانية الغرب ومثاليته ، أما في الداخلية فقد كانت المقاومة سياسية صرفة تستعين أحياناً بالمظاهرات الغوغائية ، وقد وصف عالم اجتماع عظيم هذا النوع من المقاومة السياسية بقوله :

وإن الفورة السياسية أمر تافه إذا لم تكن مرتكزة على نفسية متينة .. أما الوطنية القائمة على تقاليد رجعية ، فهي شيء عقيم ولو أدى إلى الحرية السياسية .. بعد أن تجددت أشكال الحالة الراهنة في لبنان والشام تجديداً انخطاطياً لعيناً بدأت عمليات التخريب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي :

المدارس : تخرج طلاب الوظائف ، يريدونها بأى ثمن من الكرامة والشهامة وعزة النفس ، وتخرج طلاب الهجرة من بلاد تعلمهم مدارسها أنها فقيرة ، ضعيفة ، تعسة ، محاطة بالأعداء من كل جانب ولا مستقبل لها ، وتخرج المخائيت يتهادون في مقاهي بيروت وفي مصايف الجبل متأبطين كتب موسيه وجورج ساند و الغلامه ، وقصائد الفسق والفجور .

والحالة الراهنة : بدأت كالتنين تلتهم كل شيء من موارد ومرافق : المؤسسات العائلية المتزعمة كانت كقط يلجس المبرد تنفى ذاتها وبلادها بنفسها والبرهان على ذلك هو أن كلا من المتزعمين في البلاد وصل قبيل هذه الحرب إلى حالة اقتصادية تعسة وأكثرهم رهنوا أملأهم أو باعوها للبصارف الأجنبية .

والمفوضية الفرنسية : كانت تسير هذه الأعمال التخريبية وتراقبها بقساوة الرتيلاء التي تراقب فراشة تتخبط في شباكها ( أى شباك الرتيلاء ) ماذا يتسكون ضد الحالة الراهنة :

في حالة كهذه حيث تنشوه كل المظاهر القومية التي تمثل الشعب : وهي أتعس حالة يمكن أن تنحدر إليها أمة من الأمم ، في حالة كهذه يجب الرجوع حتماً إلى الشعب !

ولكن الواضح لمن يتعمق في درس المجتمع اللبناني والسوري أن الشعب أيضاً مس في جوهره ، وتصدع في مكان قوته ومخازن انطلاقه ! ..

فقد دعى ١٩٣٢ دعوة قوية ، دعوة صارخة مستغيثة للنهوض  
ولتكوين زعامة شعبية جديدة ، يلدها من صلبه السليم ، ومن عبقرية  
الخالدة ، فلم يلب تلبية صحيحة !

ذلك لأن الثقافة المائعة ، الثقافة المزعقة ، الثقافة الكتنية المحدودة  
والمكتنية الخاملة ، والانتكالية الضعيفة قد أفقدت كل ثقة بنفسه ، وبمصيره !  
ذلك لأن كل المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والسياسية والدينية ، التي  
تمثل الشعب ، استسلمت نهائياً للأمر الواقع ، واقع الحالة الراهنة ، الشقية ،  
والدولة القيمة عليها ، ولم يبق أى مرجع يقدر الشعب أن يلجأ إليه لوجود  
حلقة الاتصال والاستمرار .

كان على الشعب اذن أن يبنى كل شيء من جديد ، أن يحارب في جهات  
عديدة وهو أعزل من كل سلاح ، وكل أعدائه مسلحون ! ..  
فلم يقدر أن يلبي دعوة النهوض لانشاء وضع جديد ، بل انتظر  
الظروف المؤاتية .

### بدء النهضة الفكرية في أوائل هذا القرن :

كان الشعب بعد الحرب الكبرى بحاجة إلى نهضة فكرية نظرية أولاً ،  
تسكون تمهيداً لنهضة قومية واقعية منظمة . وقد ظهرت هذه النهضة الفكرية  
في المهاجر اللبنانية والسورية .

بدأ الريحاني منذ فجر هذا القرن ، يكتب في الولايات المتحدة ،  
وأخذت كتاباته تتسرب إلى البلاد السورية ولكنها تلاقى اضطهاداً من قبل  
رجال الدين ، فتصل بصعوبة حتى إلى الخاصة . ثم ظهرت كتابات  
جبران بأسلوبها الشعري الجذاب ففتحت طريقها في أوساط الطلاب  
والطبقة المتعلمة رغم الحرب الشعواء التي شنها رجال الدين على هذه

الكتابات المتطرفة في زعمهم . وظهر الدكتور خليل سعادة في البرازيل  
فنظم حملة صحفية على الاستعمار كان لها أثر فعال في الوطن وفي المهاجر كما  
أن -- الاتحاد اللبناني -- في مصر عمل بنشاط خلال الحرب السكونية  
الماضية وأرسل الأستاذ السودا بعد الحرب لينظم حركة تحريرية في لبنان  
فلم يوفق الأستاذ السودا في عمله من الناحية التنظيمية ، فيئس ووقف في  
بده طريقه الوعرة .

ولكن كتاباته بقيت تفعل فعلها في نفوس الناشئة ، ولو كان وقف  
للسودا أعماله على الكتابة كما فعل الريحاني وجبران والدكتور سعادة لكان  
أكثر توفيقاً ومنفعة منه في تنظيم ، حزب المحافظين ، ثم حزب « البهجة  
القومية » ، ثم الانسحاب من الميدان وقت كانت البلاد بأشد الحاجة إليه .  
فالسودا الخطيب والسودا الكاتب ، والسودا الوطني المخلص كانت  
تنقصه فكرة الإصلاح الاجتماعي ، وكان يفتقر إلى أكثر عناصر الزعيم  
الشعبي وأكثر مواهب المصلح المنظم !

أما الريحاني وجبران ، والدكتور سعادة فقد كانوا فولتير وروسو  
ومونتسكيو النهضة اللبنانية — السورية .

وتلامذتهم المنتشرون في الوطن والمهاجر اللبنانية — السورية كلها هم  
الذين كونوا نواة النهضة القومية الحقيقية ، المنبثقة من صميم وجدان  
الشعب .

الشعب يستغنى :

وراحت كتابات هؤلاء السباقين تغلغل في اللبنانيين والسوريين  
رغم المقاومة المنظمة في المدارس وفي المؤسسات الرسمية . النار متى  
وجدت كل عناصر اشتغالها لا تطلب رخصة لتشتعل . والمستعمر مهما

تنظم وضغط لا يمكنه أن يراقب كل فكر وكل عاطفة عند شعب قرر في  
اللاوعي أنه يريد أن يحيا لا أن يموت !  
دم جديد في الحالة الراهنة :

مرت اثنتا عشرة سنة على الحالة الراهنة المتجددة من ١٩٢٠ إلى  
١٩٣٢ ، استعملت المفوضية الفرنسية خلالها أنجع الأساليب لترمم وتقوى  
حصون الأفكار العتيقة ، الهرمة !

فلقحت الجهاز التركي القديم بأقوى العناصر التي كانت تقدمها المختبرات  
الفرنسية الاستعمارية : اليسوعية ، ومؤسسات المفوضية السرية وغير  
السرية والعائلات اللبنانية العريقة بخنوعها وزعنفتها وتربيتها الانهزامية  
الخاملة .

وقوت المفوضية كل العناصر والمؤسسات التي تؤلف أجزاء رئيسية  
من الحالة الراهنة : كل من يريد وظيفة يجب أن يحمل شهادة حب  
وإخلاص وغرام وأمانة وطاعة عمياء لفرنسه . وهذه الشهادة لا تصلح  
إلا إذا حملت ختم مؤسسات أكليريكية معينة ، وعائلات لبنانية معينة .  
هذه الحركة المنظمة أحدثت دورة حيوية في هيكل الحالة الراهنة  
فجددت قواها وأعطتها دفعة قوية من « قوة الاستمرار » .

بدء الصراع بين مذهبين :

هما مذهب الحالة الراهنة العتيقة ومذهب التطور والتجديد . مذهب  
الجمود في القوالب العتيقة حتى الموت ومذهب البعث والنشور والحياة .  
ولكنني ألفت نظركم إلى نقطة هامة وهي أنني لا أعني بالمازات  
العتيقة أولئك الذين تعدوا أعماراً معينة ، كما أنني لا أعني بالمدرسة الجديدة  
أولئك الذين يؤلفون جيل الشباب بأعمارهم ، فهناك كهول وشيوخ وهبوا

حيوية التجدد والتطور ، وهناك فتيان وشبان جمدوا في أفكار وعقائد  
أجدادهم ، وهم بعد على مقاعد المدرسة . فالمسألة هي مسألة إحساس  
وإدراك ، لا سنوات كثيرة أو قليلة .

في سنة ١٩٣٢ وصلت الحالة في لبنان إلى أسوأ ما يمكن أن تصل إليه :  
أزمة خانقة في المهاجر كلها ،  
مواسم شبه ميتة لا تنق بألعابها ،  
نقد لا يعرف له قرار ،

والاحتياطى عند الشعب أنفق كله لسد عجز اثنتي عشرة سنة من  
النهب والتخريب ،

والحالة الراهنة مستتبة على صدر الشعب كأنها بلاطة الضريح ، ممسكة بكل  
موارده ومرافقه وأتعاب يومه كأنها اخطبوط ذو أشداق ألوف وبرائن  
ألوف : يمتص من جهة بقساوة الرتيلاء المجرمة ، ويخرب ويوجع من  
جهة بشراسة المسوخ المفترسة .

والشعب منهوك القوى في نفسه وجسده ، لم يُعط فرصة ليفكر ،  
ليستجمع قواه ، لينتحر أو لينهض : هو يكدح لربح قوته اليومي كأنه  
محكوم عليه بالاشغال الشاقة ، وهو يرى أوصاله تتمزق بالمهاجرة الانقراضية  
فلا يعي أين يوجه أفكاره وعواطفه .

والمدارس الأعلى والأجنبية تقذف بالمخانيث والمسوخ :

أولئك يشغغون على أرصفة بيروت كأنهم مخاليق شاذة ،

وهؤلاء ينضمون إلى المؤسسات الاستعمارية ليساهموا في الوليمة المجرمة !

كان الشعب بين أمرين :

إما الموت مصلوباً على شجرة ، ومسوخ تمتص دمه ، كما يحدث أحياناً  
عند اكله لحوم البشر في أفريقية ،

ولما أن يتحرك ويغامر ببقايا العزم والحيوية الراسبة في أعماق كيانه .

قرر الشعب اللبناني أن لا يموت !

وبدأت منذ ١٩٣٢ تتألف هيئات جديدة هدفها إيقاظ قوى الشعب الحية وتنظيمها ودفعها لمهاجمة الحالة الراهنة :

ومن سنة ١٩٣٢ إلى ١٩٣٩ تشكلت في لبنان هيئات عديدة إذا لم تكن كلها متساوية في العنف ضد الحالة الراهنة فهي كلها ليست معها .

لست هنا في مجال المفاضلة بين هيئة وهيئة ، ذلك يتطلب بحثاً طويلاً خاصاً وتحليلاً عقائدياً طويلاً . فأنا أود خوض الموضوع بصورة عامة ، كأني لا أنتمى إلى هيئة معينة ، لأنني أنظر الآن إلى الهيئات التي تؤلف

المدرسة الجديدة كأنها هيئة واحدة . وهي مضطرة أن تشكل جهة واحدة وإلا بقيت تستثمرها المدرسة العتيقة لمصالحها الخاصة . والحالة الراهنة ستبقى مستمرة طالما بقي الاختلاف قائماً بين الفئات الجديدة ، فلا تقدر

هذه الفئات أن تفرض نفسها لتتغلغل في عناصر الحالة الراهنة ، أو أن تقوِّض هذه الحالة . وكم تأملت في الخلاف القائم بين الفئات الجديدة فوجدت أكثره مركّزاً على أفكار جامدة ، ونتاجاً عن سوء نية أفراد ، لا عن تطاحن مبادئ . إنه خلاف يشبه الخلاف القائم بين الطوائف المسيحية ، أسبابه الرئيسية هي الوثنية القائمة في الأشكال والطقوس لا في الجوهر المجرد ، ولا في الروحية الطامحة إلى التحرر !

يمكن أن تكون لفئة لبنانية عقيدة ضيقة ، خائفة ، متحفظة ، لا مبالية بما يجري حولها في الأقطار الشقيقة ،

ويمكن أن تكون لفئة أخرى فلسفة اشتراكية عالمية هي من أشهى الأحلام الانسانية ،

ويمكن أن تكون لفئة ثلاثة فئرة عربية شاملة تحلم بوحدة البلاد العربية وحدة تامة ،

ويمكن أن تكون لفئة رابعة فلسفة سورية قومية تؤمن بأن الشعوب القاطنة لبنان والشام وفلسطين وشرق الأردن تؤلف علمياً واجتماعياً وجغرافياً مجتمعاً واحداً وشعباً واحداً :

هذه مذاهب فلسفية ، على المستقبل أن يغربلها ويصفىها ويحقق

منها الأنسب ، **إن النضال للمحركة السورية القومية الديمقراطية لأنها**  
ولكن هل يمكن أن تختلف نحن الفئات الجديدة كلنا على : **الوحدة المركزية على العلم والتفكير**  
(أ) أن في لبنان مجلساً نيابياً لا يليق بتمثيل شعب راق كالشعب اللبناني ، **جميع صياناته السورية**  
(ب) وأن في لبنان نظاماً طائفيّاً وأقطاعياً يضغط على الشعب ويسيره طبقاً لمصالحه الطائفية والاقطاعية ،

(ج) وأن في لبنان تشريعاً طائفيّاً يجرى الشعب الواحد إلى دوائر مغلقة تجري ضمنها تيارات لا قومية ،

(د) وأن في لبنان دوائر عامة يجب تطهيرها من الجهلة والمحاسب والخنونة ،

(هـ) وأن في لبنان موارد زراعية مهملة ، وإمكانات اقتصادية بجهولة ، ومرافق حيوية مقيدة بقيود استعمارية ورأسمالية ،

(و) وأن في لبنان مؤسسات وشخصيات يجب إيقافها عند حدها وأقصاؤها عن الميدان السياسي ؟

هل يمكن أن تختلف هذه الفئات الجديدة على أحداث إصلاح من هذا النوع ؟

لو تعقلت قليلاً هذه الفئات الجديدة لتفاهمت على مسائل إصلاحية

هامية بدون أن تفرض كل منها عقيدتها الفلسفية على الأخرى . إن عناصر التفاهم بين الفئات الجديدة هي أقوى بكثير من عناصر التفاهم القائمة بين العناصر العتيقة ، ومع ذلك نرى العناصر القديمة عرفت كيف تستغل لتحافظ على كيانها ومصالحها ضد القوى الجديدة ، بل عرفت كيف تستغل الفئات الجديدة !...

وتنافر المؤسسات الجديدة هو الذى يجعل الوضع الجديد فى تقلقل ، ويضطر نخامه رئيسنا الجليل أن يحامل ويراعى بعض الشخصيات الرجعية التى لا تسحق إلا الاحتقار .

الحالة فى لبنان اليوم هي سيئة جداً من الناحية الداخلية . فالمدرسة القديمة التى قادها نخامة رئيسنا الجليل بأعجوبة إلى الاستقلال السياسى ، هي عاجزة كل العجز عن القيام بحركة إصلاحية شاملة تتناول الاجتماع والاقتصاد والتشريع والسياسة القومية الصحيحة ،

والاحزاب الجديدة هي فى حالة تنافر وتباين فى مبادئها وأهدافها ، والجو لا يبشر بإمكانية إنشاء جهة قوية من فئات الشباب . وإذا انتظرنا إلى أن يتغلب حزب واحد على هذه الاحزاب كلها فقد تكون المسألة طويلة جداً ، فما العمل ؟

الحقيقة هي أننا نقدر أن نقول أن لبنان وكذلك سورية قد أخفقوا فى إحداث نهضة إصلاحية شاملة ، ولولا الظروف السياسية العالمية لكانت ذهبت كل آمالهما برفضة من قائد فرنسى مستبد ظالم !

المدرسة القديمة عاجزة !

والمدرسة الجديدة غير متمجاسة وغير قابلة التفاهم ، وهي تكاد تكون حالة فكرية راهنة ليست سوى اخفاق تام للعناصر الوطنية الجديدة .

التنافر المستحكم بين فئات الشباب هو نتيجة التربية المتنافرة ، المتباينة ، المتناقضة التي تلقى الناشئة في مدارس أجنبية طائفية طبعها بطوابع مختلفة . إنها حالة تنذر بشورات دامية وبتطاحن داخلي لن يعقبه إلا الخور والضعف !

كيف يمكن أن نعالج هذه الحالة الانحطاطية المركبة : حالة الوضع الراهن ، الذي ما يزال مستمراً ، وحالة الفئات الجديدة التي لم تعرف إلى التفاهم والتضامن سيلاً ؟

كان الشعب سابقاً أمام مشكلة واحدة : هي إنشاء قوة شعبية ترحزح الحالة الراهنة وتحل محلها ، أو تختلط بها وتسيطر عليها فتعطىها من أفكارها الجديدة وتأخذ من نفوذها الموروث . فعوضاً عن أن تؤلف قوى الشباب جيشاً منظماً يهاجم الحالة الراهنة في ظرف من الظروف ويرزعزعها نهائياً ، فقد خلقت هذه القوى مشكلة جديدة : وهذا منتهى الانحطاط والتفكك في شعب من الشعوب !

بعد جهاد نحو خمسة عشر عاماً تؤول الحالة في صفوف الشباب إلى التقهقر !  
إنها حالة تعسة جداً .

لاشك أن انهزام الفئة الانتدابية في الانتخابات الماضية قد نقي الحالة الراهنة في كثير من عناصرها الموبوءة ، خصوصاً من الناحية التنفيذية . فقد أقصيت عن ميدان السياسة اللبنانية شخصيات كانت تسمم المجتمع والحكومة بأفكارها ونفوذها .

ويمكننا أن نقول أن عناصر الوضع الجديد ، رغم ما فيها من الضعف والمحدودية في التفكير الاصلاحى والانتهازية والنفعية ، رغم كل ذلك قد أصبحت صالحة في كثير من الأمور للتعاون مع فئة جديدة متحررة .

فاذا أقصيت عن الميادين السياسية بعض عناصر الوضع الجديد الرجعية والجاهلة وحلت محلها عناصر فنية متحررة ، شاعرة برسالتها الإصلاحية ، إذ ذاك يمكن أن نرى الحالة الراهنة يتحرك دولابها في سبيل التقدم . هذا ممكن وقريب إلى التحقيق . ولكنني أتمنى في أول درجة أن تولف « جبهة شعبية » من الأحزاب الفنية تخوض المعركة الانتخابية القادمة بقوة هائلة . وتقضى على الوضع العتيق ، فلا تستبق منه إلا أفراداً لا يتعدون أصابع اليد نظراً لما لهم من الفضل على « العهد الجديد » ، ولضرورة بقاء حلقة اتصال بين الماضي والمستقبل .

لو عدلت فئة من الفئات الجديدة غرورها واعتدادها بنفسها ، ولو عادت فئة ثانية إلى وجدانها القومي وضحت قليلاً من أحلامها بشورة عالمية اشتراكية ، قد لا تحدث إلا بعد مئة سنة .

ولو كانت فئة ثالثة أكثر مرونة ودبلوماسية ، لو عادت كل فئة إلى ضميرها القومي ودرست مصالح الشعب الملحة وحقوقه الضائعة والميادين العامة التي يعيث فيها الفساد منذ أجيال ، لو فكرت هذه الفئات الجديدة ملياً لأهاب بها ضميرها إلى التساهل ، إلى نبذ الشكليات والتمسك بالجواهر فقط ، إلى التخفيف من غلواء العقائد الفلسفية النظرية والرجوع إلى الواقع الصارخ ! ( انظر المجلد الرابع ) انظر صفحة 76

ولا أشك أبداً في أن نخامة رئيسنا الجليل هو من مشجعي تأليف جبهة قوية من الفئات الفنية ، وهي التي تنقذ الشخصيات المخلصة من ضغط الفئات الرجعية .

أما إذا لم يعرف الوضع الجديد كيف يستعين بالقوى الفنية الناهضة ، ولم يحصل تأليف « جبهة شعبية » ، فإن مهمة الإصلاح ستكون أصعب بكثير مما يتصور البعض :

إن الحالة الراهنة، بكل مؤسساتها الموبوءة ، وبكل عناصرها الضعيفة  
الجاهلة ، العاجزة ، ستبقى وتستمر إلى أن يقدر لحزب من الأحزاب  
الفتية أن يتغلب ويقضى عليها نهائياً .

يجب علينا أن نفهم أن الوضع الاستقلالي الجديد، في لبنان ليس في  
حقيقته إلا مرحلة تمهيدية لانقلاب داخلي أساسي. والشعب يتوقع حدوث  
هذا الانقلاب في المعركة الانتخابية المقبلة . فإذا كانت نتائج الانتخابات  
الآتية تثبتاً للوضع الداخلي بكل عناصره ، فإن ذلك سيوقع الشعب في  
حالة يأس وقنوط ، لأنه لن يجد فرقاً كبيراً بين انتداب مستعمر ،  
و استقلال عاجز .

## الصهيونية بدعة شاذة

الصهيونية هي بدعة شاذة . وشذوذها متعدد ، ومناقض للحقوق الانترنسيونية وللتطور البشرى الطبيعى : فهى اتفاق فئات بشرية موزعة فى أمم العالم ، ولها كل الحقوق فى تلك الامم ، على اقتطاع جزء من وطن معروف ومسلم به واقعياً وعلمياً ودولياً ، وجعل ذلك الجزء وطناً لها . كان ذلك ممكناً ، حريياً ، وقت أن كان العالم لا يزال فى أطوار تنازع الاوطان ، وفى أزمنة كانت الإنسانية لم تصل فيها بعد إلى حالة استقرار ، تمكنت من طبع كل شعب بطابع أرضه وسمااته . أما اليوم ، فى عصر تشتعل فيه حرب عالمية طاحنة ، تعبىء كل القوى البشرية العسكرية ، ولا تتمكن هذه الحرب إلا من تعديلات بسيطة ، ثانوية ، فى حدود بعض الاوطان ، فقد غدا من العبث التفكير باصطناع وطن كامل وانتزاعه من أصحابه الحقيقيين دون أى مبرر ، خصوصاً والوسائل هى ادعاءات باطلية لا تستند لا إلى قوة حربية ولا إلى حقوق انترنسيونية .

### عمل اليهود يناقض التطور البشرى :

ولو أمعنا الفكر فى محاولة الصهيونيين الشاذة ، لتساءلنا مستهجنين : كيف تمكن اليهود من البقاء منعزلين فى تفكيرهم وعواطفهم وأمانهم عن الامم التى عاشوا بين ظهرانيها طوال هذه القرون الطويلة ؟ ! . . .  
الانسان المهاجر ، بطبيعته الانسانية ، السليمة من كل مرض اجتماعى

أو نفساني ، ينجرف مع المجتمع الذي يولد فيه ، ويحب الأرض التي أبصر عليها النور والسماء التي غمرت نشووه ونموه . وإذا بقي بعض الآثار لذكريات أرضه الأولى في الجيل الأول ، فإن أجياله المقبلة كفيلة بمحو تلك الآثار .

هذه هي الهجرات الأوروبية إلى أميركا قد اندمجت ، بطيب عنصرها ، بعضها ببعض وكونت الشعوب الأميركية . وهذه هي الهجرة اللبنانية — السورية ، فانها بفطرتها السليمة ، صاقت كل البيئات والأمم الأميركية واندمجت بها مع أول جيل من هجرتها . حتى أن الذين ولدوا في لبنان وقرروا الحياة نهائياً في أميركا ، تراهم يخلصون لأميركا وينشئون أولادهم نشأة أميركية ، مطبقين بسجيتهم المخلصة نوااميس التطور البشري .

هؤلاء هم الفرنسيون في كندا ، وقد احتفظوا بدون قصد ، مؤكداً ، بلغتهم وعنصرهم ، ووطنهم الأول ما يزال موجوداً ومن أعظم الأوطان في العالم ، فهل منهم اليوم من يدعى أن له حقوقاً في وطن أجداده ، وهل منهم من يضمركه الكره لسكندا ويعمل لخير فرنسة وهو مواطن كندي ؟

كل الشعوب الراقية ذات السجاياء الصحيحة تمشي ، بدون قصد ، مع سنة التطور الانساني العام ، إلا الفئات اليهودية الموزعة في العالم ، فقد شذت شذوذاً غريباً مجرماً ، وهي تحاول القيام بعمل غريب مجرم !

إن هذا العمل مجرم من أربع نواح ، فهو جريمة ضد سنن التطور الطبيعي ، وضد الأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها منذ مئات السنين ، وضد الأمة التي يريدون قهراً الاستيلاء على جزء من وطنها ، وضد أنفسهم أيضاً ، لأنهم بتصرفاتهم الشاذة طوال القرون قد خلقوا رأياً عاماً عالمياً ضدهم لا يسهل محوه من الأذهان !

## ماذا يدعى اليهود ؟

يدعى اليهود أنهم شردوا من أرضهم بالقوة . فهل هم وحدهم من شرد من أرضه في التاريخ القديم ؟ ! وإذا جاء كل شعب شرد من أرضه يطالب بالعودة إليها بعد آلاف السنين لاضطر العالم أن يخلق جغرافية جديدة ، وأن يعمل لحل مشاكل لا تنتهى بمئات من السنين . هذا ادعاء لا يمكن أن يأخذه شعب راق وعادل بعين الاعتبار ، بل هو مجرد ادعاء يكون سبباً لارتكاب الجريمة . وادعاء اليهود الثانى هو أنهم مضطهدون في العالم ! . وهذا الادعاء قد جاز على كثير من الشعوب والافراد في العالم فعطفوا ، جهلاً وظلماً وعدواناً ، على الصهيونية .

ألا يجب أن نسائل أنفسنا قبل أن نحكم : لماذا اضطهد اليهود في العالم ؟ !

اضطهد اليهود لأنهم يتمتعون أينما وجدوا ، خصوصاً في هذا العصر ، بكل الحقوق المدنية والسياسية ، ولا يقومون بواجباتهم نحو الأمة التي يعيشون بينها ، بل يصرفون كل جهودهم لخدمة الانترنسيونية الصهيونية العاملة لاصطناع وطن يهودى !

إذن لم يكن الاضطهاد اللاحق بهم إلا رد فعل لسوء تصرفهم ، ورداءة سلوكهم وخيانتهم كمواطنين .

فلاضطهاد كان إذن قصاصاً عادلاً لهم ، فكان عليهم أن يرتدعوا عن أعمالهم التخريبية ويعودوا عن غيهم .

## الدولة العنصرية والدينية :

لما تهاجم أوروبا الأمم العربية يكون سلاحها الرئيسى أن الاقطار

العربية ما تزال مقدس العنصرية وتخضع للأنظمة الدينية أو التي يسود فيها النفوذ الديني ، وذلك في زعمهم طور متقهقر قطعتة الأمم الحديثة الراقية . لا بد لنا من أن نسلم بأن الأنظمة الشبه دينية ما تزال تسيطر بقسم كبير شؤوننا القومية . ونسلم ، حسماً للجدل ، أن الأمم العربية تبالغ في تقديسها العنصرية العربية . ولكننا نقول لأوروبا وللعالم المتمدن كله : ان الأمم العربية في نهضتها الحديثة تعمل بنشاط سريع لتحرر أفرادها وتحرر هي بدورها من النفوذ الديني في الدولة ولتتخلص من العنصرية ، وتوجه للنشء الجديد توجيهاً اجتماعياً إنسانياً . ولكن ما بال أوروبا تنتقد من ناحية هذه الحالة وتعمل من ناحية أخرى لتحقيق أفطع بدعة دينية وعنصرية ، ألا وهي الصهيونية ؟

العنصرية المتحجرة السرطانية والدين المتعصب المتصلب هما عنصران  
الصهيونية الوحيدان . وكل المحاولات المتمدنة ، التي جربت أن تذيب هذه العنصرية الصهيونية في شعوب العالم ، قد باءت بالافقار ، بل زادت تلك العنصرية تحجراً وأدعاء . وما تزال خرافة « شعب الله الخاص » ، تفعل فعلها دينياً وعنصرياً بأرقى الفلاسفة اليهود في العالم ! وما تزال خرافة « أرض الميعاد » ، صنماً يقده كل يوم خمسة عشر مليوناً من اليهود العائشين في أخصب وأغنى أقطار المعمور تحميمهم أرقى الأنظمة وأعددها ! إنه لغريب ان لا يشجب العالم المتمدن كله إدعاءات الصهيونيين ! إن الولايات المتحدة تحرم على كل مواطنها مغادرة أرض الوطن أكثر من أربع سنوات والا يفقد المواطن حقوقه في وطنه ويخسر جنسيته الأميركية ! فإذا كانت أربع سنوات من البعاد عن أرض الوطن تكفي لخسارة كل الحقوق ، فهل يجوز لأميركا أن تدافع عن ملكية فرد هجر

أرضاً منذ ألفي سنة ؟ إنه لتناقض غريب لا يمكن أن نفسه إلا إلى نفوذ الصهيونية المتغلغل في أجهزة الدول التي تناصر الصهيونية ! ...

### الصهيونية خطر مداهم

كل محاولة نظرية لاظهار بطل ادعاء الصهيونيين لا تجدى عملياً أى نفع ، لأن الصهيونية لم تعد إدعاء نظرياً يمكن دحضه بنظرية حقوقية أو علمية ، بل ان مشروع الصهيونية أمسى واقعاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً . فاليهود لم يتسككوا على الرأى العام العالمى ليقر إدعاءاتهم ، بل هم الآن يلهون العالم بصورة عامة ، وسوريا وكل الأمم العربية بصورة خاصة ، بمناوراتهم وتصريحاتهم ، بينما يتسربون إلى فلسطين بكل الطرق الممكنة كي يزداد عددهم وتتوطد أقدامهم عاماً بعد عام . إن عددهم في جيل واحد صعد من أربعين ألفاً إلى المليون وحالتهم طورت من فئة قليلة وفقيرة ، تعيش كما يعيش سكان سورية الجنوبية من التجارة والزراعة والصناعة اليدوية البسيطة ، إلى شعب يعد مليوناً من الناس ، آتين من أرقى الأمم الأوروبية ، يحملون أحدث العلوم والاختراعات وأضخم الرساميل ، وأخبث النوايا . إن الصناعة الأوروبية بكل إمكانياتها العلمية والمالية والتجارية والحربية والاستعمارية قد انتقلت إلى فلسطين ، فهناك مليون من الناس هم جنود ورؤساء مليون واستعماريون في وقت واحد ! واليهود يقدرون ، وذلك ظاهر في كلامهم وتصرفاتهم ، إن عددهم الحاضر وسرعة نموهم بالموايد والصناعة الجبارة التي أسسوها إلى الآن ، تكفل تحقيق خططهم الاستعمارية في سورية الطبيعية كلها ومن ثم في باقى الاقطار العربية .

إن من يتأمل ملياً سخنة الاثنين ، ويقابل بينهما ، يتأكد ان في ملاحم العربي من العزم والانفة والغروسية والمغامرة والاستعداد ما يكفل الانتصار، في النهاية ، على ذلك اليهودي المتهدم ، والمتهدل والبائخ . فان العنصر اليهودي قد شاخ من الدوران على نفسه فكوريا وعنصريا . وقد ظهر ذلك واضحا في ملاحمة التعبه ، المجردة من عزم الرجولة ومغامرة الشباب .

ولكن هناك الآلة الحديثة التي يتقن اليهودي صنعها واستعمالها فيحطم كل عزم وكل روح فروسيه بالحديد والنار . وإذا لم تسرع كل الدول العربية إلى إعداد عدتها الآلية فان الدويلات السورية كلها ستتحل مع الوقت ، تحت الضغط اليهودي الاقتصادي أولا والسياسي ثانياً . وتتبعها على طريق الانحلال تلك جميع الدول العربية الأخرى .

ولسكن ، على كل حال ، كما أن اليهود لا يتسكلون على القوى الخارجية ومساعدة الدول الأجنبية إلا في الدرجة الثانية ، كذلك يجب على السوريين وسائر العرب الا يتسكلوا أولا إلا على نفوسهم . هذا هو واجهم الأكبر أمام الخطر الصهيوني المتعاظم .

من المؤكد أن تجاسر الصهيونيين على تنفيذ مؤامراتهم المجرمة ، بمحاولة اقتطاع جزء من الوطن السوري العربي لتسكوين وطن لهم ، هو دليل على اعتمادهم تنفيذ سلسلة من المؤامرات كي يعرفوا كل تعاون عربي يمكن أن يكون خطراً عليهم . فلا يمكن أن يغامر الصهيونيون في إقامة وطن اصطناعي مغتصب ، في هذا العالم العربي العظيم ، المستنض كل نقواه عاماً بعد عام ، إلا إذا أضرموا نوايا وتصاميم تخريبية مخيفة

ولكن مؤسسة « الجامعة العربية » جاءت لتكون حصاراً عربياً  
جباراً يضرب حول هذا الكيان الصهيوني المجرم .

ومقاطعة الصناعة الصهيونية هي أول الوسائل التنفيذية التي ستشعر  
الصهيونيون بحرجة موقفهم ، وتفهمهم أن هذه البلاد العربية الناهضة بأربعين  
مليوناً ، والمتوثبة إلى انتزاع حقوقها القومية من كل مغتصب ، لن تراجع  
أمام مليون صهيوني مهما بلغت قوتهم واكتمل تنظيمهم وعظمت صناعتهم  
وارتقت علومهم التكنيكية . إن في الروح العربية من القوى المخزونة  
ما يقدر أن يسحق قوات أكبر بكثير مما يمكن أن يعيها الصهيونيون .

## ألوان لبنانية<sup>(١)</sup>

من أيام الرغد القديم

جمال الحياة في الريف أنها مواسم :

لا يكدن ، المرء هناك ، كما في المدينة ، من الصباح إلى المساء ، على مدار السنة ، في عمل يومي واحد ، يحول الجسم إلى آلة ذات حركة واحدة ، ويقيد الفكر في نقطة واحدة هي الاشراف على تلك الحركة ؛

بل تتواتر المواسم ، وتباين مداتها ، وتنوع أعمالها ، حتى يصبح كل موسم فصلاً مستقلاً ، وفناً خاصاً ، له ميزاته وألوانه .

نصف الخريف الثاني هو بدء النشاط في حياة الريف الجبلية . فالشتاء قد اتخذ من هذا النصف الحائر ، بين الصحو والمطر ، مساعداً متطوعاً للمباشرة بأعمال الحراثة .

في هذا الوقت تكون الكروم والحقول مجردة من كل أشجارها ، والطبيعة تعبئة من مواسم العطاء : تريد أن تخلع ثيابها وتطلق عريها للفضاء : يدغدغ أعضائها بالرياح ،

ويطهر أبدانها بالأمطار والثلوج الآتية ،  
حتى إذا أدير موسم تروضها في أواخر الشتاء ،

---

(١) كتبت في ربيع ١٩٤١ ، في « الخرائب » وهي ضاحية من ضواحي قرية المؤلف ، وقت كان متخفياً عن السلطات العسكرية الاستعمارية

أقبل الربيع يحوك وينمق جلبابها الجديد ، ليقدمها لزوار الربيع غانية  
تختال بأثوابها الجديدة ،  
تفتح أكفها وتفتت ثغورها لمن تربع في أحضانها

\*\*\*

وتسكون أيام الفلاحة والزرع ناشفة ، لاتجذب الكثيرين إلى السكروم  
والحقول .  
يأتى الفلاح غالباً وحده ، ثم يتبعه أحد أبناءه الكبار ، معاوناً في العمل .  
ولكن مبدان الطبيعة في الريف لا يمكن أن يخلو تماماً من مظاهر  
الفن والجمال :

فقد ترى غالباً ، عند الظهر ،  
غادة ريفية مرتبة الهندام ،  
تنقل على الطريق كأنها الحجل ،  
ترمق قوامها بين حين وآخر بنظرة مختلسة ،  
تحمل الزوادة إلى أبيها وأخيها .  
وإذا أمعنت النظر في نوافذ البيوت المجاورة الطريق ، أو في سطوحها ،  
ترى فتى يراقب ذهابها وينتظر إيابها ،  
حتى إذا عادت ، بعد برهة ،  
تشاغل قرب الطريق ، على مرأى منها ،  
لتراه وتصبحه ؛  
ثم يتبادلان كلمات لا يعرف مرها إلا من راقب السهرات المقبلة .

\*\*\*

يلى موسم الحراثة والزرع موسم الزيتون ولله المتعب ، الممل .

والزيتون عند رب العيلة حبُّ الزيت المبارك ،  
تمطره الزيتون بسخاء عندما تهز فروعها ،  
أو ترتجح بين سواعد الرياح .

تؤلف العيلة في هذا الموسم فرقة العمل ، فيساهم فيه الكبير والصغير  
ويكون جامعاً بين الجد واللعب .

وإذا طفت جوار القرية ، متخفياً ، مجاوراً الكروم سمعت كل  
الألحان القروية : من نتف الأغاني ينثرها الفتيان والصبايا بدون نظام  
أو هدف ،

إلى العتابا المسرعة ، يرشقها الشبان رشقاً على مسمع أو على نية ! ..  
وإذا تنصت جيداً تسمع ، بدون شك ، بعض الانغام الناعمة ،  
الخافتة ، ترسلها الفتيات إلى بعيد أو قريب ، على « متون الهواه »  
أو « أجنحة الطيور » .

بعد موسم الزيتون تعترى طبيعة الجبل فترة من الراحة بعد العظام ،  
فتنصرف إلى تخزين جهد الإنسان ونشاطه . فالارض تتقبل الحرارة مرات  
عديدة وتخزن قوى الطبيعة في أحشائها المباركة ، والأشجار تنتظر الكروم  
مع فأسه ومنجله ومقصه ، فهي تريد أن ينقيها من زوائدها المزعجة كي  
لا يزحمها الربيع وشمسه المنعشة قبل أن تنقى . هي بشوق إلى الربيع يسرّب  
الحرارة إلى أحشائها حيويها فتتمامل قوى الحياة المخزونة في نفسها ،  
وتتحرك للظهور في مناطق الطبيعة كلها .

ولعل موسم الشتاء الحقيقي هو موسم السهرات العامرة ، الصاخبة ،  
«الصباحيات» العائلية الهادئة .

نار حطب التوت فاكهة الجميع ، ولعب الورق تسلية الأكثرية مع  
مايرافقه من قهوة ونبيذ وكستناء وجوز وتين ناشف «وترريك» الغالبين.

أما روح السهرات وسحرها الخفي فليس في هذا كله ،  
بل في شخصين هادئين ،  
يتظاهران بالاهتمام بالألعاب الناس وأفراحهم ،  
ولكنهما يجران حديثاً صامتاً ، متواتراً ،  
حديثاً لا يحوكة الكلام العادى ،  
حديثاً أبلغ من كل ما يمكن أن يبدعه الفمكر بواسطة اللسان .  
هو تفاهم وتبادل عواطف ، لا يدرك معانيها إلا أصحابها ، أو من  
رافقها بدقة منذ أيامها الأولى .  
لفتة تنبه الفمكر والعواطف كلها ،  
تتبعها بسمه تقول في صمتها :  
« لا يهمنى إلا أنت » .  
وقد تأتى إمالة نظر خفيفة ، هازئة ،  
نحو شخص معين تعنى أشياء كثيرة ،  
بل تصرح أن : « لا تشغل فكرك بهذا فهو بعيد عن قلبي » .  
هى جالسة قرب أبيها ، تظهر كأنها تتحزّب له ويهمها انتصاره فى الورق ،  
وفى الحقيقة لا يهمها إلا تحزّب قلبها لهذا الجالس قبالتها ، وهما يتفاهمان  
بلغة لا تفهمها إلا القلوب .

\* \* \*

ويتوارى (فبراير) ومستقرضاته المهاجمة ، المنتقمة بدون أن يكون لها  
ثأر على العجائز (١) ، ويلوح الربيع فى (مارس) الميسال إلى نعومة (أبريل)  
واخضراره ، الناقم على جيرة فبراير وأطواره الشاذة .

(١) يقال فى لبنان أن فبراير يقترض ثلاثة أيام من مارس كي يتقضى على العجائز .

وهذا الربيع بكل مخزونات جماله، وكل متاحف أوديته وسفوحه ورواياه.  
يطل بالبراعم،

براعم التوتة التي تدرك في ذهولها الابل كم أن « النجيل » (١) بدأ عند  
العجائز، وأن الدويدات ستطلب غذاء للحريز.

براعم الدوالي وعشاق التبولة ينتظرون بفروغ صبر موسم الحلقات  
العابقة بالفتوة والحب والجمال. موسم تخاطف الورقات تحمل طعم الانامل،  
موسم تبادل النظرات تحمل حباً بريئاً وخفة طاهرة،

وأوراق الدوالي إذا تخاطفها الفتيان والفتيات في حلقاتهم المرحية،  
لا يحرم منها أهل البيت، بل يأكلونها بلذّة. فان محشى الدوالي، وهو  
مخضب بالزيت المبارك، أو محشو بالعصافير الصغيرة، يعد نخرة الزوادة  
إلى الحقل البعيد.

وقبل أن يمر موسم هذا الورق المحبوب تبدأ مواسم ربيعية أهم وأخص.  
ولكنها مواسم سرية وتبقى سرية إلى أن تتوارى في أسرارها:

هي مواسم « التلاويح »،

بواكير الأثمار على السواء،

يخفيها الفتي اليافع أينما وجدت.

حتى أشجار الخورى والمختار والمتزعم

لا تسلم من الخطف والنهب والتعدى.

بل تخضع لقانون الحب الأوّل.

كل ذلك في سبيل ابتسامة رضى،

---

(١) « النجيل » هو لإعداد بذر الحريز في أمكنة تحفظ فيها الحرارة في حالات معينة إلى

ن نصير دويدات صغيرة فتعطى للملاحين كي يربوها.

أو نظرة عطف من الرفيقة الصغيرة ،  
الحائرة بين الولودية والفتوة ،  
بين موقف الجد والهزل من أصحابها .  
« التلاويح ، أينما وجدت :  
في قصور الأحبار والبطاركة ،  
أو في الحقول البعيدة ،  
تقدم ضحية للحبيبة الفتية .  
وهي لا تنجشم إلا الأكل والابتسام ،  
وقد تكون البسمة ساخرة  
من صاحب البستان  
وسارق الأثمار معاً ! ... »

\* \* \*

### موسم القز

موسم القز في الجبل هو الابن الحبيب ، البار .  
يبدأ في أيدي العجائز وينتهي بالقطاف ، في أيدي العيلة كلها ، من  
كبيرها إلى صغيرها ، إلى أصدقائها وجيرانها .  
ولا يفرح رب البيت من كل قلبه ، إلا عندما يرى أكداش الشرائق  
تنتظر الذهب الرنان .  
ولا ترى الحرائر والأجواخ والمآكل الطيبة ، وحلوليات بيروت  
إلا بعد بيع موسم القز .  
كل مواسم السنة لا تشوق إلى الشغل بنشاط وحرارة واهتمام خاص  
كما تشوق تلك الدويديات الصغيرة ، المتحركة أبداً ، تطلب الغذاء والسرعة

في النمو لتصل إلى بيتها المثالي الصامت ،

إلى سجنها ، لتهبنا أجمل ملابس وجده الإنسان ،

ولتثقل خصور آبائنا بالذهبيات العديدة .

وقد تربع موسم القز في ابان الربيع ، أجمل الفصول ، كأنه يعرف

قيمته الغالية .

وعند ما تختال التوتة باخضرارها الممرع على التلال والسفوح

المرشوشة بالحجارة ، وعلى الحروف الفقيرة إلى المياه ، يقرأ المرء أفكارها

في قضبانها الطويلة ، وفي قوامها القوى : فهي تتحدى أية شجرة بستانية

يمكنها أن تحل محلها ، وتصرح بجرأة قائلة : « لولاى لبقيت هذه الحزون

والحروف جرداء قاحلة ، تفتأها الاشواك المضرة وتمربها المعز مرة طريق ،

والتوتة تفاخر أشجار الارض كلها وتطلبها إلى المنازلة من شيطان

البحر الحرى إلى مساقط الثلوج المجلدة . وهي تعز أنها ترافق اللباني في كل

شبر من أرضه . تحتل الارض في كل جنب منها وتقول بفخر : « أنا بنت

الارض الاصيله ! حفظت أجدادكم من العوز في الازمنة القاسية . ولم

يجاورني في بعض مناطق إلا الزيتون والدالية والتينة . أما بنات هذا

العصر المفلج فكانت تلبس لأول لفحة من الشمس . حافظوا على لانى

أحمل في سرايى كل ذكريات أجدادكم المجيدة ! ،

فكما ينظر الجليليون إلى الزيتون كشجرة مقدسة ترعرعت في أرضهم

مع أجدادكم الاول ، فانهم ينظرون إلى التوتة كمورد رئيسى لعيشهم .

ولا يقل حبهم لها عن الزيتون المباركة .

صحيح أن الزيتون والدالية دخلتا في طقوسهم الدينية واكتسبت تلك

المسحة المقدسة ، واسكن التوتة صارت جزءاً من حياتهم ، وغذاء لمواشيهم ،

وحطباً لمواقدهم ، وحبلأ يشدون بها خيامهم وعرازيلهم في الصيف .

فانى اتجهت وكيف تطلعت رأيت أثراً لأحد محاصيل التوتة السخية .  
وثقة رب البيت بمحصول التوتة هى أقوى من كل ثقة ، وهاهو يخاطب  
أحد أبنائه عن محصول التوتة المبارك :

« كل المواسم يبعزق منها ، يابنى ، إلا موسم التوتة . فغلتها مبروكة ،  
تبقى كاملة إلى أن تباع فيقبض ثمنها دفعة واحدة . ناهيك عن غلالها  
العديدة . التوتة ، يابنى ، هى حياتنا ، يجوز لك أن تفرط بكل شئ إلا  
بالتوتات . التوت بين الارزاق كعمود البيت بالنسبة إلى السقف ، إذا سقط ،  
سقط السقف كله . والعيلة بدون توت كالبيت بدون مؤن . نقدر أن  
نعيش بدون كرم وتين ، حتى وبدون زيتون ، ولكن كيف تنزل إلى  
بيروت إذا لم تبع الشرائق ؟ » ✓

\* \* \*

يدخل موسم القز بصمت ووقار ، وهيبة وجلال ، كأنه صلاة سرية  
فى المعابد الخفية . هو أولاً طبق واحد ، تغلى عليه الدويدات المتحررة  
من سجونها الصغيرة ، والمرتعشة أبدأ كأنها حركة الحياة النابضة  
باستمرار لا تعرف الكلال ولا الراحة . ثم يتجزأ الطبق إلى أطباق ،  
فيتضاعف كل يوم إلى أن يملأ الامكنة المعدة لنموه المبارك .

مشاريع بناء الخصاص وإقامة السدد وإخلاء البيوت القديمة لإسكان  
الضيوف الحريرية قائمة على قدم وساق . الطباق والركائز وحزم القصب  
والقشر تخرج من مخابئها . الخصاص تظهر هنا وهناك بين ساعة وساعة  
حتى يظن المرء انه فى مدينة سينائية . والصغار يهرجون ويمرحون فى  
قصور القش والقصب الجديدة متوسلين إلى الشيوخ والعجائز أن يسمحوا  
لهم بالنوم معهم فى الخصاص . وبعد أسابيع ثلاثة يصير موسم القز فى عز

شغله ، والعيلة بجدة كلها للعمل : الرجال يمشقون الورق من الامكنة البعيدة ، والنساء يجردن الورق عن القضبان ويقدمنها للدويكات الملتهمة باستمرار ، والاولاد يقشرون القضبان ويرزمون القشر والقضبان العارية حزماً حزماً .

وفي وقت كهذا تصبح زيارات الفتيان غير نادرة .

— « يا خليل ! بحياتك ! هذا المقص ، هات لى غمر ورق من وراء البيت ، طول أبى وأمى ، والفزات جاءت ، ولا أقدر أن أترك أخى الصغير ، يعلق خليل ساكته على التوتة . ألف خدمة مثل هذه الخدمة ! يسرع بلحظة بصر ويأتى بغمر الورق . .

— « فتقول وردة : « أبهذه السرعة ؟ تسلم يداك يا بطل ! ، ثم ترمقه بنظرة فيها كثير من الاسئلة والمعاني .

— حضرتك كنت تمشقين السنة الماضية من حد بيتنا أحياناً ، لم أرك هذا الموسم ؟ ! . . .

— « مشقت من قرب بيت عمى هذه السنة ! كنت دائماً مستعجلة والمحل قريب ،

— « أصدقة أم قصداً ؟ هذا الذى يهمنى ؟ . . .

— « من يعلم ! كل شىء يجوز ! . . .

كيف كانت سهرتكم ليلة الاحد ؟ ! . . .

فانكم خليل وقال :

— « أردة رجل يعنى ! هناك لى صديق ! . . .

— « فليكن لك أصدقاء ! أن أسألك عن السهرة لتسلى ! . . .

— « ها أمك آتية سنتكلم مرة أخرى ، مستعد للمساعدة إذا مشقت  
من قرب بيتنا غداً ! ... »

\*\*\*

والصيف ملك الفصول بمواسمه الجذابة ! فان تباهى الربيع بجماله  
ونضارته وأزهاره بقى الصيف صامتاً وفسح المجال لسنابله المثلثة ،  
وعناقيده المشقرة ، وتيناته المعسلة أن تعبر عن كرمه وسخائه .  
وكم تقول الدوالي الخيمة للربيع المشتاق : « لوحكيت لك بعض  
أسرارى لطلبت من الطبيعة أن تمزجك بالصيف لتستمع بأهلى مشاهد  
الحياة والذها !

« أتذكر « تلك » التى مرت مرة فى حقلك وجنت بعض أزهارك  
وانصرفت مسرعة بينما كنت تنادىها كى تشم أزهارك وتعطرها ؟ »  
— « وبعد » ؟ قال الربيع محرقة !

— « إنها كانت ضيفتى طيلة أصيل أمس ! »

— « وحدها ؟ »

— « لانهن حشريا . إذا كانت لك بعض الازهار المختبئة فى أفياء  
الصخور من الشمس اللاهبة ، فقدمها إلى قرب الطريق ! سوف تمر فى  
حقلك بعد أيام وقد يكون لأزهارك الحظ أن تشمها ! »

## قريتي

### بين الأمس واليوم<sup>(١)</sup>

هذه قريتي الصغيرة ،  
متربعة على تلة صخرية ، ناشفة ،  
تشرف على بحر بيروت من علو مئات خمس من الأمتار ، وتهفو إلى  
صنين فتلامسه بشوقها وطموحها .  
تأمل في حاضرها المريض ، الجامد ، فلا تدرك سر جموده ،  
وترجع إلى ماضيها القريب فتحار وتدمع !  
كانت إلى الأمس القريب ، إلى ثلاثين سنة ،  
ترقص على هذه الآكام الطلقة  
رقص عروس نشوى بجبها وبنظرات حبيها !  
فشيعت أفراحها ومسراتها أحزان الحرب الكبرى ،  
ثم انتابتها أمراض صامتة ، هي ماتزال تنهك حياتها وتلاشيها ،  
كأنها أنواع من السل الاجتماعي المجهول !  
بالأمس كانت بيوتها تربو على الخمسين بعد المائة ،  
وسكانها على المئات السبع ،  
تغلي الحياة في مناطقها دورة حيوية دائمة ،

---

(١) كتبت في ربيع ١٩٤١ ، في كرم توفيق خطار حيث تخفى المؤلف أياها في  
سقيفة ذلك الكرم .

كانت تحب سكانها حب الام أطفالها ،  
فتوزع عليهم أعمالهم توزيعاً عادلاً في كل الميادين والحقول :  
يتفرق الفلاحون بكرة بين بساتين التوت والكروم المجاورة ،  
يغدو المكارون محمّلين منتوجات القرية ومحاصيلها إلى المناطق البعيدة ،  
أما الانوال فيتناولها أفراد العيلة حتى لاتقف موسيقاها الصناعية  
التي لاتزعج الاطفال في نومهم !  
الام لا تترك نولها إلا لترضع طفلها المسطح على « طراحة » ، بالقرب  
منها ، أو لتهىء الغذاء للعيلة الشحيطة !  
أما الفتاة وهي في سهرة مع خطيبها ، فلا توقف المكوك ، بين آونة  
وأخرى ، إلا لتغير الخيط أو لتستفهم بابتسامة طاهرة ، عن كلمة  
لم تسمعها جيداً .

كانت قريتي جمهورية ديموقراطية نشيطة :  
كل يساهم في العمل ليستحق خبزه نقياً ، طاهراً .  
الاولاد ، بعد المدرسة يرعون المواشي في الحقول المجاورة ،  
ويفتشون في مخابئ الصخور عن الحشيش الأخضر ليوفروا الاعلاف  
اليابسة لايام الشتاء الباردة .  
حتى العجائز وجدن رفيقاً خفيفاً ، لطيفاً ، يرقص في الشتاء حول  
الموقد ، حيث يأخذ قسطه من الدفء ،  
ويطل في الربيع إلى أنوار الشمس المنعشة ، فيجلس معهن تارة على  
العتبة ، وآناً في « المقصل » (١) الأخضر ،

---

(١) « المقصل » : حديقة صغيرة تزرع فيها البقول لتؤكل أبام الصيام ، وكثيراً ماتجلس  
العجائز في هذه الحديقة ومعهن رغبة من الحبز المرقوق حتى إذا جعن ينتقلن في المقصل  
ويختصرن كل أنواع البقول

أما في الصيف فيحضر الاجتماعات العجائزية العديدة ، حيث تدور  
الانتقادات اللاذعة لجيل الفتيات الطالع . ومحصول المغزل السنوى ليس  
نخيفاً كقامته ، بل عثمانيات خمس ، تضيفها العجوز الحكيمة إلى مجموعة  
القرش الأبيض لليوم الأسود .

قريتي بالأمس مواسم غلال سخية ، ومواسم مسرات متنوعة ،  
قريتي بالأمس معاصر شتوية يجرى فيها الزيت ودبس الخروب كأنها  
ينابيع من السكوثر الأخضر والاشقر ،  
ومعاصر في الصيف كأنها سواق عبقرية ذهبية يلذ طعمها للشاربين !  
قريتي بالأمس :

أكوام الزيتون الأخضر والأسود  
وأكوام الشرائق البيضاء والصفراء ،  
أكوام الحبوب الكثيرة  
وأكوام العنب المذهب ؛  
أكوام من عقود التبغ  
وأكوام من أطباق التين المسطح ؛  
قريتي بالأمس أكوام من السعادة ،  
ومسارح للنشاط والحب والجمال !  
فأين قرية الأمس من  
قرية اليوم !

قريتي اليوم حشرات تتصاعد من القلوب ، وحشرات تظهر ملاحظها  
على وجوه الأرض والأشجار !  
قريتي اليوم جمود يشبه الدهول !

سكانها مشوّهون في تسكويهم الاجتماعي ، فلا تجد العناصر التي تكمل  
المتحد. فالقرية مؤلفة بأكثريتها الساحقة من شيوخ وعجائز وأولاد وصبابا .  
والدورة الاجتماعية الكاملة : ضمن العيلة أولاً ، وبالتالي ضمن القرية ،  
هي متقطعة .

الآباء والأمهات لا يجدون أبناءهم ، والأولاد لا يجدون آباءهم وأمهم .  
العجائز يفتشن عن بناتهن المتزوجات فلا يجدن إلا الأحفاد ،  
والفتيات يتنزهن مساء على دروب القرية فلا يتمسكين إلا بالأولاد والشيوخ !  
قريتي هدمتها بالأمس جيوش البرابرة وأماتت أهلها جوعاً وعرياً وشنقاً .  
وقريتي يشرد أهلها اليوم أناس مجرمون ،

يقتلون وفي أكفهم القفافيز ، فيلطخ ضميركم ولا تلتطخ أيديهم !

قريتي اليوم عجائز وشيوخ يدمعون كلما نظروا إلى البحر ،

ما أقسى الإنسان الذي يدمع الشيوخ والعجائز !

قريتي اليوم أولاد إذا سمعوا : « أبي ، أمي ، وقفوا حائرين ، تفتابهم

عضات خفية ، مبهمة ، لا يدركون معانيها ، ولكنهم يشعرون بها ! وإذا

رأوا أما تضم ولدها أو تقدم له شيئاً بحنو واهتمام أداروا بوجوههم

متأملين ، حالمين باليوم الذي يتمتعون فيه بالعواطف الأبوية ، وقملات

الأم الحارة !

قريتي اليوم :

فئة أسيرة ، معتقلة ، تعيش منتظرة ، وتتلأشى متفككة ،

وفئة منفية ، مبعدة ، مبعثرة في مجاهل العالم وأقاصيه ، تعيش مشنقة ،

متألمة ، آملة ؛ وتفتني ، بأكثريتها ، في أشواقها وآلامها وآمالها !

فمن له أذنان فليسمع ، وضمير فليشعر ، وأعصاب متينة فلينزل إلى

ميدان العمل والإصلاح .



ستظهر قريباً

# أفاعى السقوف

قصة قومية

بقلم أسد الأشقر

القصة القومية الاصلاحية التى تبين أعمال التخريب الاستعماري في لبنان وسورية خلال جيل كامل ،  
درس واف للتفكك العائلي والاجتماعي والاقتصادى والسياسى في لبنان ، بعد الحرب الكبرى ،  
درس واقعى لكارثة المهجرة اللبنانية - السورية.

أفاعى السقوف

هى عرض لحياة شعب فى خمس وعشرين سنة

---

معابد الريف

قصة ريفية لبنانية تعطى صورة واقعية عن حياة القرية اللبنانية فى الحرب الكبرى الماضية .  
تأليف : أسد الأشقر





DATE DUE



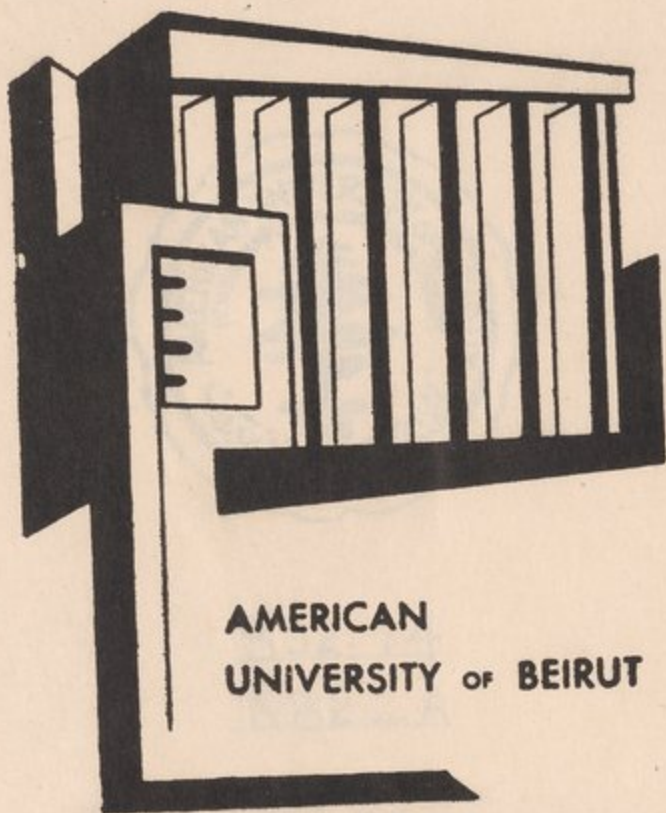
الأسقر، اسد

من صميم لبنان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036253



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

892.74  
A827mA